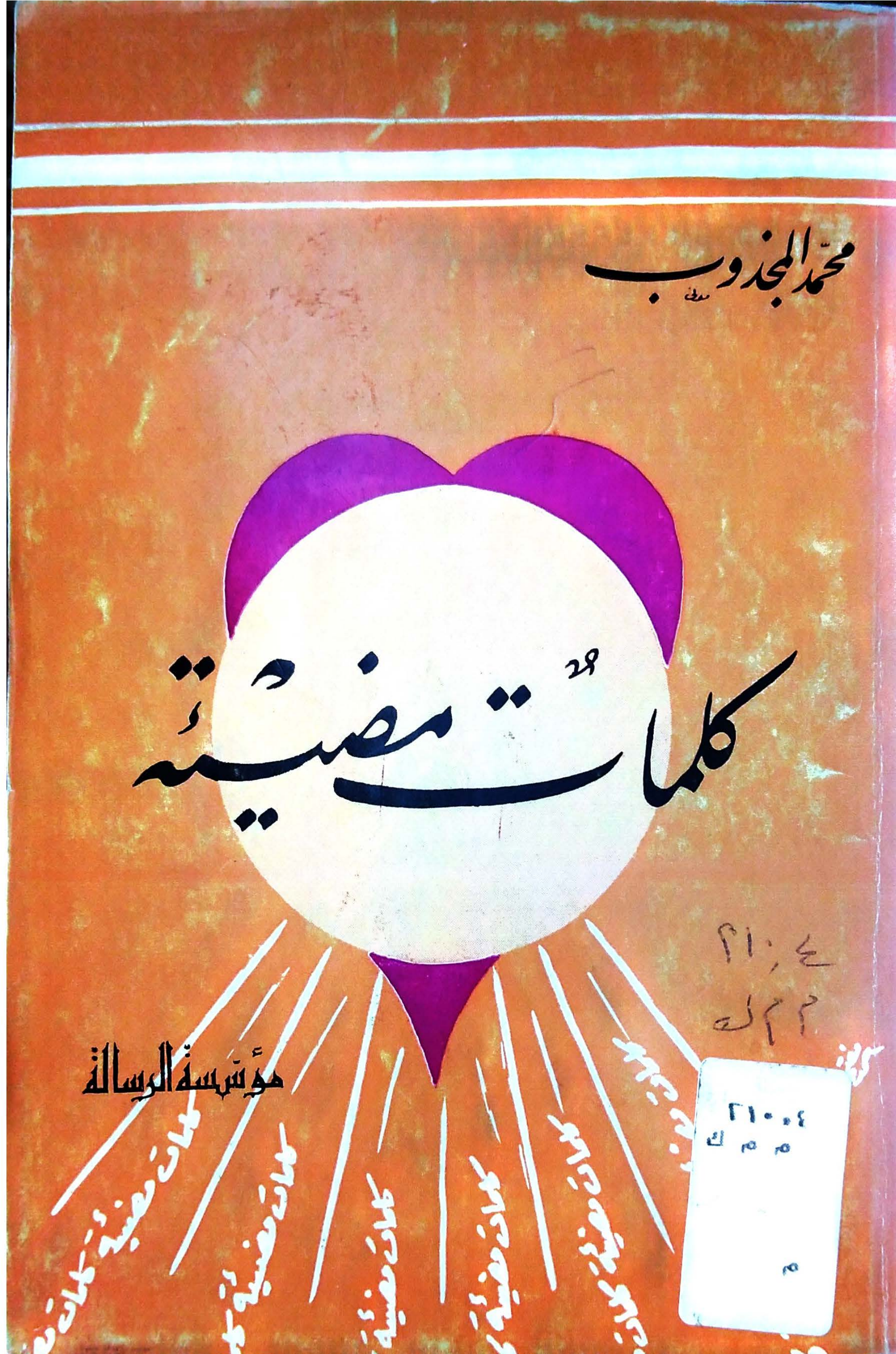

محمد المجذوب
كلمات مضيئة
مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٢٩٥٥٠١ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب : ٧٤٦٠ برقيا : بيوشران

محمد المجذوب



مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الاحاديث

(ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) .. (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) ..

فمن الكـــلام اذن الطيب والخبيث ، ومن حق احاديثي القصيرة هذه ان تصنف في النوع الصالح ان شاء الله، لانها جميعاً تستمد من الشجرة المباركة ، التي ميزها الله بأنها لا شرقية ولا غربية .. ولكنها رحمانية اسلامية يكاد زيتها يضيء .

ومن هنا كان اختياري الأخـير لعنوان الكتاب (كلمات مضيئة) والله اسأل ان يفيض عليه من رضوانه ما يجعله جديراً بعنوانه . انه هو الموفق .. ولا حول ولا قوة الا بالله .

المدينة المنورة شوال ١٣٩٧ هـ

محمد المجذوب

نفحات القرآن

فضائل رمضان ، صيامه وقيامه ، انتصاراته ، ليلته التي هي خير من ألف شهر ..

أما أنا فأحب أن أقف حديثي القصير هذا على النبأ العظيم الذي به كان لرمضان كل هذه الفضائل ..

أحب أن أتحدث عن القرآن الذي شرف الله به هذا الشهر المبارك ، وكرم به النوع الانساني حين أطلق أنواره الخالدة على دنياه ، فغيرت معالمها ، وبددت ظلماتها ، وأوضحت له المنهج الذي يؤمّن مسيرته في الطريق الأمثل والأهدى والأقوم .

أعظم أحداث التاريخ البشري قاطبة هو نزول القرآن .. لذلك ميز الله الشهر الذي خُص بهذه المناسبة بأن جعله غرة الزمن كله ، وجعل الليلة التي احتوت هذا الحدث الكوني خيراً من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، وجعلها سلاماً كلها على أهل الأرض والسماء ، فلا مكان فيها لشر ولا عمل فيها لشيطان ، حتى مطلع الفجر .

من أجل ذلك أتاح الله للمؤمنين في هذا الشهر من تجلية الأعلى، مـــا لم يتح لهم في سنة . ففرض عليهم صيامه ، وحبب اليهم قيامه ، وغلّ عنهم أيـــدي عدوهم الألد وذريته ، ففسح لهم بذلك فرصاً للتسامي والتطهُّر ، يستردون بهـــا حقيقتهم التي كادوا يفقدونها في غمرات الصراع مـــع الاهواء والشهوات ، ويعودون اثناءها لفطرهم الأصلية وصفائهـــا الذي كدرته المفسدات ، حتى اذا أطلوا على نهايته شعروا أنهم مولودون من جديد ، فلا ذنب يبهظ كواهلهم ، ولا اثم يثقل أعناقهم ، وانما هي حياة خفـّت وشفـّت فكانت كالحلم الشهي يغمرهـــا الجمال ، ويحفها الجلال ..

فرمضان اذن فرصة أهل الأرض لمشاركة الملأ الأعلى بذكرى ذلك التفضل الأسمى ، الذي تجلى فيه باريء الوجود على الجنس البشري بأعظم نعمه التي لا يسعه الوفاء لشكرها ..

انه الفرقان الذي أنقذ به الله العرب من دياجير الضياع ، فأحلهم منزلة القيادة العالمية ، وأعطاهم مقاليد النفوس ، تقبس منهم انوار السماء، فترد لهم الجميل حباً ونصرة ومودة لا تزول، ما داموا وافين بعهد الله ، حافظين أمانته ، ومبلغين رسالته ، مصدقين قوله لنبيه ولهم : (وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسألون) .

انه القرآن الذي أعلن لأول مرة في التاريخ حقوق الانسان،

بتكريم الله اياه ، وتفضيله على كثير ممن خلق تفضيلا ، فأدرك أهل الطغيان أن هذا المخلوق ، الذي يذلونه ويسخرونه ويقتلونه ، قد خلقه الله على صورته ، ونفخ فيه من روحه ،فلا سبيل لاحد عليه الا بحق الله ، ولاول مرة يسمع الناس في كل حدب وصوب أحد تلاميذ القرآن يهتف بهم من عاصمة الدولة الربانية الجديدة : (متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احراراً) .. انه الخارقة الذي يقول فيه رب العالمين : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ..

انه الدستور الذي يقيم حجة الله على عباده ولا تقوم أمامه حجة أبد الدهر ، وكلما جاء جيل بتنظيم يظنه المحكم القيّمَ جوبِه بالحقيقة التي لا يستطيع لها رداً ،وهي (أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ..

وأي معجزة ، بل أي تكرمة للانسان ، أعجب وأغرب من أن يجد بين يديه كلام ربه مسطوراً في كتاب ، أو مقرؤاً بلسان ، وقد حمل اليه من الحكمة والانظمة ما يعجز عن بعضه الثقلان ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ... (أو لم يكفِهم أنا أنزلنا الكتابَ يُتلى عليهم . ان في ذلك لـرَحمةً وذكرى لقوم يؤمنون) .

وقد ضمن الله للتالين هذا الكتاب حق تلاوته إمامة الدنيا، وقيادة العالم ، واقامة الحضارة المثلى ، التي لا تحيف فيها المادة على الروح ، ولا الروح على المادة ، بل يكون كل شيء فيهـــا

مسخراً لخدمة الانسان ، ولتوفير العدالة والسلام .. فكان تمام الاعجوبة أن حقق لهم ما ضمنه ، فوضع في أيديهم أزمة الخلق، ومكّن لهم في الأرض، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...

على أن المحيِّر المدهش في أمر الأمة التي حملت أمانة هذه الرسالة أن يعقب سلفها الصالح خلف تعب من أعباء المجد والعزة ، فتخفف من صلته بهذا الكتاب ، وأصغى بسمعه إلى المضللين يزينون له غير سبيل المؤمنين الأولين ، فلا يلبث أن يؤخذ بمغرياتهم ، ويستجيب لترهاتهم ، واذا هو بين يوم ويوم مجرد من أسباب القوة والعزة فلا يملك لها ردا ، ويجرب كل شيء غير العودة الى القرآن ، فلا يزداد من النصر والعزة الا بعدا .

لقد بدأ هذا الخلف انصرافه عن وحي ربه بتعطيل أحكامه المعصومة من النقص والضعف اذ استبدل بها تجارب العاجزين الخابطين في المهامة بغير نور من الله ولا أثارة من كتاب مبين . بل قد غالوا في هجر ذلك الينبوع الحي ، فأعرضوا حتى عن تلاوته ، وكادوا ينقطعون عن كل صلة بهدايته .

ثم جاءت الطامه الكبرى حين اهملوا لغتــه . فعطلوا في أنفسهم الاحساس بجمال البيان ، حتى لم يعودوا قادرين على تذوق أساليبه ، التي طالما فجرت المواهب ، وعبدت لفرسان البلاغة سبيل الابداع والإمتاع ...

وهكذا حق في هؤلاء الضائعين انذار رب العالمين من لسان نبيه الأمين (وقال الرسول رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) .

***

أجل ... ذلك هو حديث النبأ العظيم ، الذي به شَرُفَ رمضان ، فاق الشهور والدهور ، أصلح به الله سلف هذه الأمة ، فجعل منهم منائر الهدى والعلم والحضارة ، وأهمله خلفهم . فضلوا طريقهم ، وطمع بهم حق من لا يدفع عن نفسه ..

ولكن هل بلغ هذا الجيل الضائع حدود اليأس من كل اصلاح ؟ ..

أليس ثمة من أمل بعودته الى كتاب ربه ، يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويحصن به وجوده من عوامل الانحلال التي شرعت تهاجمه من كل مكان ؟ ...

لقد أعطانا الله جواب هذا التساؤل صريحاً في هذا الكتاب الذي أنزله (تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين).

فلنتلُ بانعام قوله تعالى في تحذير المؤمنين من سلوك طريق الزائفين السابقين : (ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلْ فطال عليهم الأمدُ فقست قلوبُهم وكثير منهم فاسقون).

ثم لنتلْ قوله سبحانه ، في وصف العلاج الناجع ، لمثل هذه

الامراض الروحية حين يبتلي بها المسلمون (اعلموا أن اللهَ يُحيي الارض بعد موتِها .. قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) ..

أجل .. ان القلوب اذا أظلمت بالبعد عن أنوار الحق ، كان عليها ان تتعرض لنفحات القرآن ، الذي يعمل في الأرواح عمل الغيث في الارض ، فكما يرد الله بالغيث حياة الارض الميتة ، فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ، كذلك شأن القرآن في اصلاح القلوب القاسية ، لا تكاد تنصرف اليه حتى يرد اليها البلال بعد الجفاف والحياة بعد الموت ..

ذلك وعد الله الحق ، ودواؤه الحتم ، فهل للمسلمين أن يجربوه مرة أخرى ! .

ان رمضان شهر القرآن ، فهو أحق بأن يذكِّر المسلمين بالعودة الى القرآن . والتعرض لنفحات القرآن .. والحمد لله رب العالمين .

مشاعل الهدى

ان نظرة واعية الى اصول الرسالة الاسلامية في مصدريها الأعليين تؤكد انها تستهدف تكوين الفرد الذي يصلح لان يكون الانموذج المثالي للعبد المؤمن ، الذي من مجموع نماذجه يتألف المجتمع الرباني في مختلف بيئاته ، من الاسرة الى أصناف الجماعات البشرية المنتشرة على سطح الارض .

فالدعوة الى توحيد الله بالربوبية والآلهية والحاكمية ، وتعريف الانسان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، هما المنطلق الأول لتثبيت خطواته في الطريق الصحيح خلال مسيرته الأرضية ، اذ يمضي بذلك على نور من الله ، فلا يضل ولا يشقى ، لانه منسجم مع الحقيقة الكبرى ، التي تملؤه يقيناً بأنه في رعاية الله الذي له ملك السموات والارض وما بينهما .

ومن هنا كان التركيز على هذه المعاني أبرز خصائص الرسالات الالهية ، فهي دعوة كل نبي من آدم الى خاتمهم وصفوتهم من خلق الله محمد صلوات الله عليه وسلامه ، ولا عجب فمعرفة الانسان ربه ، بكل ما يتفرد به سبحانه من نعوت الكمال ،

هي التي تحدد علاقته به، وتعين صلته بالكون والحياة والانسان في وضوح لا غموض معه .

والانسان الذي اتصل بكل هذه الحقائق هو وحده الذي يستمتع بجمال الحرية الكريمة ، لانه يستعصي على كل عبودية لغير بارئه . وباخلاصه العبودية لله وحده يستعلي على نوازع الهبوط ، ويحقق الانتصار على عدوه الأكبر الذي أخرج أبويه من الجنة ، اذ يصبح في مركز القوة التي تضعف بازائها قوة الشيطان ، فلا سلطان له عليه ، ولا سبيل له اليه ، لانه عرف مقاتله ، فبات كيده أعجز من أن يُعجزه،وكذلك يقذف الحق الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق .

تلك أولى ثمرات التوحيد الخالص في حياة الانسان. فبمعرفته ربه يتحرر من كل عبودية لغيره ، وبمعرفته صفاته العلى يتبين سبيله للتعامل مع الكون والحياة والخلق ، اذ يحاول التقرب جهده من تلك الصفات بالتزام معانيها ، والتحقق بموحياتها في اخلاقه وتصرفاته جميعاً .

ومن التوجيهات الآلهية في هذا الصدد تلك الآيات الباهرة التي ختم بها رب العزة سورة الفرقان ، فكانت مخططاً عجيباً للسلوك الأمثل الذي يحبه الله لعباده .

يقول سبحانه : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون

لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم . ان عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقراً ومقامـــاً . والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ،وكان بين ذلك قواماً. والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعفْ له العذاب يوم القيامة ويخلدْ فيه مهاناً . الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحـــاً فانه يتوب الى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور،واذا مروا باللغو مروا كراماً.والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ، والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماماً).

ان في هذا المخطط العظيم لصورة تامة الملامح للانموذج الكامل الذي يمثل عباد الرحمن ، سواء من الناحية الذاتية أو السلوكية أو الاجتماعية .

وأول ما يسترعي الانتباه من هذه الصورة اضافة هولاء العباد الممتازين الى الرحمن بخاصة ، فيقف المفكر متأملاً في أبعاد هذه الاضافة ، ثم لا يلبث أن يستكشف بعض أسرارهـا ، اذ يعلم أن ثمة تقريراً سماوياً ينبه اللب الى أثر السلوك الاسلامي في تنظيم طاقات العبد الصالح لتمثيل عظمة هذا الدين الحق .

إن من مميزات هذه الطائفة من العبـــاد ، الذين استحقوا

شرف الاضافة الى ذلك الاسم الحبيب ، تساميهم الذاتي الذي ارتقى بهم في معارج الطاعات والمراقبة والالتزام ، حتى صاروا أهلا لان يمثل بهم الله للفئة المقبولة الممتازة .

انهم متميزون في تصرفاتهم جميعاً .. في مشيتهم المتواضعة ، وفي اقبالهم على العبادة آناء الليل ، والناس غارّون في احلامهم وفي خوفهم عذابَ الله ، الذي حذرهم هوله في محكم كتابه ، فرسخت صوره الرهيبة في ذاكرتهم حتى كأنهم يواجهونه دون حجاب .. وفي ترفعهم عن مواطن اللغو .. وشهود مجالس الباطل ، وفي رهافة مشاعرهم وتيقظ قلوتهم لاستشراف الآفاق العميقة من حقائق التنزيل ، وفي دؤوبهم المتصل للوصول الى المقامات العليا من مرضاة ربهم .

وهم في جهادهم العظيم ، لتصفية ذواتهم من أدران المعاصي ، لا يغفلون واجبهم الآخر نحو غيرهم ممن فارقوا نهجهم الأقوم .. انهم لا يردون السيئة بمثلها ، بل يقابلونها بالحسنة ، وهم معتدلون في استعمال المال ، فلا يستهويهم الترف الذي يفسد المجتمع ، ولا يستبد بهم الشح الذي يقطع صلة الانسان بأبناء جنسه .. وهم الى ذلك عاملون بكل ما يملكون لنشر الأمن في الأرض ، وللحفاظ على طهارة المجتمع البشري من الموبقات المدمرة لهناءته . ومن أجل ذلك يضرعون الى ربهم ان يرزقهم الذرية المباركة التي تكون امتداداً لقوة الخير والطهر .

وهكذا يجمع الله تبارك وتعالى في هذا المخطط الحكيم

صفات الذين يحبهم من عباده ، ويعلن لهم في النهاية رضوانه عنهم ، بعرض ما اعده لهم من الجزاء الخالد والنعيم الذي لا يزول .

وقمة الجلال في هذا المنهج الرباني هي اقتناع العقل السليم أن ليس فيه ما يستحيل تطبيقه على الانسان السوي ، اذا هو صمم على اختيار السلوك الأفضل ، والعمل الجاد للسمو بمجتمعه الى المستوى اللائق بالمخلوق ، الذي كرمه الله ، وفضله على كثير ممن خلق تفصيلاً .

بيد أن على المؤمن أن يتذكر أن لا سبيل إلى تحقيق أي جانب من هذا الخير في معزل عن الصبر ، تلك الفضيلة التي هي قوام كل جهد يراد بذله في سبيل الاصلاح الانساني ومن أجل ذلك قرن الله سبحانه بين الصبر والجنة ، فجعلها له جزاء وفاقاً . فقال عز من قائل : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويُلَقَّون فيها تحية وسلاماً) .

فالله أسأل أن يجعلني واياك أيها الاخ القارىء من عباد الرحمن ، الذين هم مشاعل الهدى، وبهم جمال الحياة ، وبأخلاقهم الرحمانية تضيء الأرض ، ويسعد الخلق .

الفرصة الالهية

ان الحديث في مثل مناسبة الحج ، وقل أن يكون لهـــا مثيل ، متعدد الجوانب ، متسع الساح ، لا يُحيط به قلم كاتب مهما أعاد وأبدأ ، ولا عجب فهو حديث الفكر المؤمن إلى العالم الاسلامي كله ، ممثلاً في حشوده الوافدة من كل فج عميق .

ان اطلالة كاشفة على ذلك السيل المائج من عباد الله ، وقد ملؤوا السهل والجبل ،وزالت من بينهم فوارق المنازل الاجتماعية ، فبدوا وكأنهم أسرة واحدة ، تساوى أفرادها في الزي والحاجة والسلوك .. فلا غني ولا فقير ، ولا قوي ولا ضعيف ، بل كلهم ضارع يستجدي رحمة الله ، في ذلة دونها كل ضروب العزة التي توهموها من قبل ..

ان إطلالة كهذه تكفي لاحلال العمى في أبلغ الألسنة ،لانها تواجه عالماً من المعاني العليا ، لكل جانب منه موحياته التي قلما تخطر على بال لم يتمرس من قبل بالتأمل في حقائق الاسلام .

ان الذي أكرم الانسان بهذا الدين الكامـــل ، لَيُعرِّفُه جلال هذه المناسبة في عدة مواطن من كتابه المجيد ، ومن ذلك

قوله سبحانه في الآية الثانية من سورة المائدة : (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الهدي ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً. واذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ؛ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب).

فهو سبحانه يوجه خطابه الى أحب عباده اليه يعلمهم ويزكيهم ويعدهم لمهمة القيادة العالمية بالتدريب المحكم على فضائل هذا الدين العظيم .

انها مجموعة من الاحكام الالهية مركزة في عدد من الأوامر والنواهي الجازمة ، ينظم بها جلت حكمته تصرفات هؤلاء الذين أنعم عليهم بهدايته ، فأصبحوا على أتم الاهبة لتنفيذ كل ما يصدر اليهم من توجيه .

فها هنا محظورات لا مندوحة للمؤمن عن اجتنابها ، بدأها بما سماه شعائر الله ؛ وينطوي تحتها كل شيء حرم على الحاج حال تلبسه بتلك العبادة حتى يتحلل منها باستكمال أركانها .. وفي امساك الحاج نفسه عن هذه المحظورات خلال أيام الحج تدريب عجيب على إخضاع الجوارح لتعاليم الله، حتى يتيسر له ترويضها على طاعته ، فتصبح بعد ذلك سهلة الانقياد لنداء الواجب .

ثم تتابع هذه المحظورات ، فالاشهر الحرم ، وفيها موعد

الحج ، هدنة ألزم الله بها الانسان ، فلا قتال فيها ولا ترويـع ، بل أمان شامل يستمتـع به كل واحد من بني آدم حتى المعادي ، ما دام قد وضع سلاحه .. واذا كانت هذه الهدنة حقـاً على الناس كلهم فالمسلم أحق بها وأهلهـا ، لانه هو الوحيد الذي وهب نفسه لطاعة ربه فبات لزاماً عليه أن يحرس حدوده بكل طاقاته ، وكذلك الشأن في حرمة الهُدْي الذي خصصه الحاج أو المعتمر لهذه المناسبة ، فعليه الحفاظ عليها للغرض نفسه فلا يبسط يده اليه بالنحر الا في موعده ومـكانه تسليماً لاوامره تعالى ، ثم يأتي موضوع القلائد وقد تعدد فيها الفهم فهي العلامات المميزة للهدي ، لا يجوز لمؤمن ازالتها حتى يبلـغ محله . وهي كذلك آثار من شجر الحرم كان الخائف يجعلها كالقلادة في عنقه فلا تمتد يد اليه بأذى توقيراً لحرمة البيت ..

والجو في كل هذه المحظورات جو سلام وأمن ، و من أحق الخلق بها أولئك القاصدون هذه البقعة المقدسة طلبـاً للرزق الحلال ، وابتغاء مرضاه الله ، وقد يكون بينهم من سلف منه عدوان على بعض المؤمنين ، ولا سيما أيام نزول تلك الآية ، وهم الذين صدوهم أيام الحديبية عن الوصول إلى الكعبة ، فعـلى المخاطبين أن يرعوا حرمة الجو الآمن فـلا يقابلوا هؤلاء بمثل عملهم .

وقد شاء الله عز وجل أن يشمل هذا الامان كل شيء من مكان وزمان وانسان وحيوان .. فلا يحل لهؤلاء المؤمنين أن

يؤذوا أيا من حيوان البر أو يروعوه ما داموا في حالة الاحرام حتى يخرجوا منه الى الإحلال ..

ولا جرم أن تحقيق الالتزام بكل هذه الاحكام لا يقتصر على عمل الفرد وحده ، بل لا بد من تعاون الجماعة كلهم عليه ، وهكذا يختم سبحانه هذه الطائفة من الأحكام بإلتزام المؤمنين التعاون على البر والتقوى ، وتحذيرهم أن يقيموا تعاونهم على الاثم والعدوان ، وتذكيرهم وجوب تقوى الله ، وانذارهم شديد عقابه على أى تهاون في ذلك ..

وبقليل من التأمل الواعي في ظلال الآية ومضامينها المكثفة الحاسمة يستشعر المفكر ذو القلب المفتوح لاشعة الوحي ، انه تلقاء تنظيم عميق الجذور ، بعيد الأثر في تصعيد النفس المؤمنة نحو المستوى الذي يؤهلها للقيادة ..

ولا نستطيع الاحاطة بهذه الحقيقة اذا لم نستحضر خصائص النفس العربية التي تلقت هذه التعاليم العظيمة قبل أن تكلف تبليغها سواها من نفوس الشعوب الأخرى .

انها تلك النفس التي استعصت على كل سلطان غير قانون النخوة الجاهلية .. فليس أعسر من إخضاعها لنظام يفرض عليها التعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان ، وهي التي لا تعرف حكمة أحق بالتقدير من قبول المثل الشائع (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ومن قول ذلك الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

ومع كل هذه الموروثات العصبية لم تلبث هذه النفس العَصِيّة ان لانت للتربية الربانية ، فاذا هي الانموذج الأفضل لتلك الفضائل ، التي فرضها الله لاقامة البنيان الاجتماعي العالمي على أساس من التعاون المحقق لكل بر ، المجانب لكل اثم .

وهكذا تكون أيام الحج فرصة الهية لتنقية نفس المؤمن من عوامل الهبوط ، ولتدريب المجتمع الاسلامي على ممارسة السلوك الذي يؤهله لهداية البشرية الضائعة الى سبل السلام الحق ، الذي ضل طريقه معظم الخلق ، على الرعم من تظاهرهم بالدعوة الى السلام .

ولا جرم أن نفسنا تبلغ هذا المستوى من الصفاء حقيقة بالتخلص من كل ما كان يثقلها قبل الحج من عوائق السمو ، وصدق رسول الله ﷺ القائل : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ..

طريق النجاة

أخرج البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفَراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحّمن فيها . فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تَقَحَّمون فيها .

لقد بين الله سبحانه مهمة نبيه ﷺ في كتابه الحكيم فقال : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . ٦٢ – ٢ فهو يبلغ عباد الله آيات ربهم ، ويربيهم على آدابها ، فيطهرهم من أرجاس الجاهلية ، ويعدهم لهداية البشرية ، بما يبثه فيهم من العلم الحق ، وبما يدربهم عليه من مناهج السداد في التفكير والسلوك ، حتى يكونوا منائر هدى ورسل رحمة الى الناس جميعاً في كل مكان وزمان ، بعد ان كانوا لا يقلون عن غيرهم بعداً عن الحق ، وايغالا في الضياع والضلال .

وفي الحديث الصحيح الذي توجنا به هذه الحلقة صورة

ناطقة لجهاد الرسول الأعظم ﷺ في هذا الميدان ميدان التبليغ والتطهير والتعليم والاعداد، وعلى دأبه ﷺ في اختيار الاسلوب الأكثر ايضاحاً وتأثيراً يعمد هنا الى التمثيل البليغ لبيان مهمته في حماية الذين يدعوهم من الشقاء، الذي يتعرضون له بمجانبتهم سبيل الحكمة الذي يدلهم عليه.

فالتمثيل النبوي هنا يقوم على الواقع الذي يدركه كل ذي بصر أياً كان موطنه: حشرات تقتحم النار وهي لا تدري أنها مسوقة لحتفها، ورجل بالغ الرحمة يكافح بكل جهده ليمنعها ذلك، وتأبى هي الا موارد الهلاك..

وينتهي التمثيل الحسي الى غايته المنشودة، فاذا الرجل هو رسول الله ﷺ واذا الفراش الطائش هو هؤلاء النــاس الذين يجاهد لهدايتهم وانقاذهم من هلكاتهم.. وما أعظم منظره ﷺ وهو ممسك بحجزهم لردهم الى السلامة، وهم يتدافعون صوب النار دون وعي ولا تقدير للمصير الخطير الذي يواجهونه.

انها الحقيقة التي نعرفها عن رسول الله ﷺ من كتاب الله ومن سيرته الطاهرة.. فحياته الكريمة سلسلة من الجهاد الدائب لتدارك واقع الناس، الذين صرفتهم ألفة الضلال عن سبيل الحق، فهم يتخبطون في مهامة الظلام، دون ان يعرفوا لانفسهم غاية صحيحه.. وهم الى ذلك نهب أمراض لا شفاء لها الا في الدواء الذي يحمله اليهم، وبحافز من الرحمة الغامرة التي تمــلأ

جوارحه عليهم ، لا ينفك متابعاً لهم يعالج أسقامهم ، وينير مسالكهم ، ليعرفوا واقعهم على حقيقته ، فيعلموا ماذا عليهم أن يعملوا ..

ولقد بلغ من جهاده في علاج هؤلاء المرضى ما يتجاوز طاقة أولي العزم ، حتى لنسمع ربنا تبارك وتعالى يدعوه الى الرفق بنفسه فلا يحملها من الحزن عليهم أكثر مما ينبغي أن تحتمل (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ويرى سبحانه الى تزايد ألمه من اعراض التائهين عن دعوته الرحيمة المنجية ، فيصور له حالته كحالة الذي يكاد يهلك نفسه رحمة بالآخرين ، وهم لا يعبئون بما يعمل لهم ، ولا يرحمون أنفسهم (فلعلك باخع نفسك من آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً .. ١٨ — ٦) .

ولا جرم ان المسلم الذي يستحضر فضائل هذا النبي الرحيم ﷺ ، ويتذكر جهوده العظمى في سبيل نشر الخير والهدى لعامة الخلق ، يستحيي من مخالفته ، ويستشعر أعمق الأسى اذا وجد لنفسه تصرفا يُنافي ما دعاه اليه .

أليس هو الاسوة الحسنة التي يهتدي بها المؤمنون ، وعلى ضوئها يتعرفون ما عليهم وما لهم !.. فكيف يسمح المؤمن لنفسه باغفال أمره ، أو اقتراف ما نهى عنه ،وهو يعلم من أعماق قلبه انه أحنى عليه من أبويه ،وأرحم به من نفسه التي بين جنبيه ! .

ألم يسمع قول ربه تبارك وتعالى في وصف رسوله ﷺ :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم . ٩ - ١٢٨) .

انه الحريص على انقاذنا حتى من العنت ، الذي هو لون من المشقة ، وهل أدل على رأفته بنا ورحمته أعظم من كونه لم يدع خيراً ينفعنا في الدنيا والآخرة الا أرشدنا اليه ، ولا شراً يضرنا في عاجل أمرنا وآجله الا حذرنا منه وأظهرنا عليه .

يقول عليه صلوات الله وسلامه فيما اتفق على تخريجه الشيخان: (انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم اني رأيت الجيش بعيني ، واني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاءَ .. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا ، فأنطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما جئت به ، ومن عصاني وكذب ما جئت به من الحق) .

ها هنا لون آخر من التمثيل التربوى ، يرينا عمله ﷺ في محاولة انقاذ الناس من شقاء الحياتين ، انه اشبه برجل شديد الحدب على قومه ، قد جاء ينذرهم باقتراب عدوهم الذي يحمل اليهم الهلاك ، فهو يحثهم على الحذر والأبتعاد عن الخطر . فمنهم من أخذ بشهادته وبما عرف من رفقه بهم وصدقه في الحديث ، فخفوا لطلب النجاة .. وكان منهم من استهان بالنذير فلم ينتفع بما سمع ، فلزموا مكانهم حتى فاجأهم العدو فاستأصل شأفتهم!..

لا شيء أوجب على المريض من العمل بوصفة الطبيب الذي

وثق بحذقه واخلاصه ، ولكن غير قليل من المرضى متهاونون بوصفة طبيبهم ، على الرغم من يقينهم بميزاته العالية . وهذا نفسه شأن المسلم الذي يؤثر هواه أو متعته العابرة ، على طاعة نبيه الرؤوف الرحيم ، فيحرم نفسه بذلك الخير العميم ، ولو أن هذا الغوي أعمل عقله في تقدير مصلحته الخاصة لما وجد سبيلاً للانصراف عن الطاعة الى المعصية ، لانه يتبين أن كل زيغ عن هذه الجادة قلّ أو كثر مقرب الى الهاوية ، أو قاذف فيها ، كما أن كل خطوة في متابعة الهدْي النبوي طالت أو قصرت فمقربة من السعادة أو دافعة اليها .

لقد ادلهمَّت الظلمات على المسلمين ،وحارت عقول المفكرين في البحث عن المخرج ، على أن الذين أوتو العلم والايمان هم وحدهم الذين عرفوا الطريق الصحيح الموصل الى النجاة ، فدعوا وما زالوا يرفعون عقائرهم بالدعوة اليه .

انه العودة الى قيادة هذا النبي الكريم بشهادة العزيز الحكيم :
(ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً .. ٣٣ — ٧١) .

ومن الفــوز العظيم الموعود اطمئنان القلوب ، وتفريج الكروب . وغفران الذنوب . واستعادة الحق المسلوب . ثم ما وراء ذلك من جنة عرضها السماء والأرض أعدت للمتقين ..

الوعد الحق

أخرج البخارى والترمذي رحمهما الله عن انس (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوماً .. أفرأيت ان كان ظالماً .. فكيف أنصره ؟ قال تحجزه — أو تمنعه — عن الظلم فان ذلك نصره) .

من خلال هذا الأثر الحكيم يتبين المفكر مدى الانقـــلاب العظيم الذي احتوى النفس العربية بانتقالها من ظلمات الجاهلية إلى نور الاسلام .

ان صدر الحديث مثل جاهلي قديم ، طالما تردد على ألسنة الناس قبل الاسلام ، فرسخ عوامل البغى والاصرار عليه في نفوسهم ، حتى صار التناصر القبلي ، بالحق والباطل ، من الركائز الأساسية في بنيان النظام الجاهلي ، لا يجـدون فيه غضاضة ولا عنه انفكاكاً ، بل يعتبرونه من العناصر التي تحقق لهم المفاخر ، فلو خطر في بال امرىء أن يجادل فيه أحداً منهم لردد في سمعه

حجته التي أجمع على صحتها الجاهليون جميعاً :

وهل أنا الا من غزية إن غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

ومن هنا كان تساؤل ذلك الصحابي الجليل ، عندما سمع معلمه الأعظم صلوات الله وسلامه ، يلقي بهذا القول الجاهلي ، فلم يشك أن الرسول الكريم انما ينطق به ليسترعي انتباه تلاميذه الى ما وراءه ، كدأبه ﷺ في اثارة تشوقهم لمعرفة الأمور التي يريد تقريرها . وهكذا جاء الجواب النبوي جازماً حاسماً صادراً عن منطلق الوحي الذي يتولى تدريبهم على فضائل الاسلام . فاذا النصر الذي يأمر به لم يخطر من قبل على قلب جاهلي ، لانه منع للمسلم من الظلم . بدلاً من تأييده على الخصم أياً كان شأنه .

لقد كان من خصائص النظام القبلي الذي خالط نفوس العرب أن يتلقى الفرد استجابة صاحبه فور ارساله نداءه ، دون أن يستوثق من أحقيته بالعون ، بل دون أن يسأله برهاناً على مدّعاه .. أما الان ، وبعد أن ادرك الله هذا الانسان برحمته ، فقد تبدل به الحال وبات على أتم الشعور بمسؤوليته تلقاء كل مخلوق أياً كان شانه ولونه .. فهو بحق الاسلام ملزم بنصرة أخيه في كل دعوة إلى حق ، فاذا استيقن أن أخاه مقدم على باطل تحولت مسؤوليته إلى وجوب الحيلولة بينه وبين الباطل الذي يريد ... وبذلك يكون فقط قد منحه أعظم النصر ،

لانه نصره علي نفسه وعلى شيطانه ، فأنقذه من عواقب البغي وغضب الرب ، وذلك هو العون العظيم ، فالحديث الشريف اذن هو احدى الصور الكبرى للتحول العظيم الذي يطالعنا في قوله تبارك وتعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتـــابَ والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . ٢ - ٦٢) .

فالنفس الجاهلية التي لم تكن لتقيم وزناً للحق والخير ، الا بمقدار ما يؤمنان لها من المصلحة القبلية ، قد استحالت بتعليم هذا النبي الأمي - صلوات الله وسلامه عليه - انساناً آخر من طراز لا عهد للانسانية كلها بمثله حتى ذلك العهد. إنساناً استضاء قلبه بآيات ربه فزكت نفسه ، وانفسحت أمام عينيه آفاق العلم بما تزود من الحكمة النبوية ، التي بها أدرك ما لم يتح لسواه أن يدرك من حقائق النفس والكون والحياة والقيم العليا. فهو بهذا النور يفرق بين المشتبهات ، ويميز بين الواجبات والمحظورات ، فلا يستجيب لاي داع ، ولا يخضع لاي باغ ، بل يلتزم جانب الحق ، فهـــو أحب اليه من نفسه ، وأحق بنصرته من آله وجنسه .

أجل .. انه لأنقلاب شامل، رفع ذلك الجاهلي من حضيض العصبية العمياء ، الى أكرم المنازل التي أعدهـــا الله للانسان الفاضل .

لقد أصبح هذا الانسان بالاسلام شهيد الله على الناس ، فهو الحافظ لحدوده ، الناشر للحق والخير والأمن بين عباده ، لا يصرفه عن ذلك صارف من متاع أو منفعة زائلة . قدماه في الأرض ورأسه في السماء ، لا يستهويه من الدنيا الا صلاحيتها لطاعة ربه ، وأنها تنطوي على الزاد الذي يبلغه مأمنه من الجنة .

وما لهذا الانسان المصفّى وعصبية الجاهلية الضريرة ، وهو الذي يقرأ في كتاب الله ذلك التحذير الرهيب : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها ، وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحبَّ اليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القومَ الفاسقين ٢٤ - ٩) لقد انجلى الصريح عن الرغوة ، فلا قرابة فوق الحق ، ولا شيء مما يستهوي القلوب في الأرض حقه أن يستعبد قلب المؤمن ، فيصرفه عن طاعة الله والجهاد في سبيله .

ذلك هو المنهج الذي رُبّيَ عليه المؤمنون الأوّلون ، فكانوا به خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ... انه النور الذي منّ به الله على الأميين فعرفوا في ضوئه طريقهم ، بعد أن كانوا في ضلال مبين ، وكلما عرضت لهم الغفلة عن هذه الحقيقة ردهم اليها بمثل هذا التوجيه

الحكيم : (واذكروا نعمةَ الله عليكم ، اذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ٣ – ١٠٣) .

وكيف ، وأنّى لهم أن ينسوا فضل الله الذي رفع عنهم أصر الجاهلية ، وشق لهم سبيل الخلود ، اذ جعلهم بالدين أيمة الدنيا ، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً .

ثم أنى لهم أن ييأسوا من روح الله ، وهم لا يزالون أمام وعده الحق ، بأن يرد لهم العزة بعد الذلة ، والوحدة بعد الفرقة ، والتقدم بعد التخلف . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنهُم في الأرض كما استخلف الذين من قبلِهم ،وليَمكنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وليبدّلنهّم من بعد خوفِهم أمنا) .

بيد أن عليهم أن يتذكروا أولاً أن تحقيق هذا الوعد الالهي مشروط بالايمان والعمل الصالح ، فاذا كانوا جادين في طلب الانتصار ، والظفر بالمكانة الموعودة ، فليثوبوا إلى ربهم بالتوبة النصوح ، وليعودوا كسلفهم الصالح مؤمنين عاملين بما يرضي الله رب العالمين .

الشجرة الخبيثة

ان أدعى الأمور للعجب هو أن تتقلب الأوضاع فتحل الوسائل محل الغايات ، ويألف الانسان ذلك ، حتى لا يرى ولا يفكر بغير هذه الوسائل ، كأن شيئاً وراءها لم يكن ولن يكون . ذلك هو الحال الذي يصير اليه أبناء الدنيا عندما يحصرون بصرهم في نطاقها ، فلا يطلقونه خارج هذه الحدود .

ولو أن هؤلاء استطاعوا أن يتخلصوا من واقعهم الشاذ هذا بعض حين لكانوا أحرياء بتعديل سلوكهم ، وتنظيم أمورهم على نحو آخر ، أضمن لامنهم وأرجى لخيرهم مما هم عليه ، وهيهات أن يقاس ما هم عليه بالذي يجب أن يكونوا عليه .

لقد رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فوقفوا عليها كل جهودهم .. ولو أوتوا قدرة التأمل فيما وراء الظواهر لادركوا انهم يخبطون في ظلام ، ويَعُبُّون من أجاج ، وأن الدنياتضحك من تصرفاتهم البعيدة عن كل سداد .

أجل .. ان قليلاً من التأمل الواعى في قوانين هذه الحياة الدنيا يكشف عن الكثير من حقائقها التي غيبها الجهل والغرور

عن أذهان الأكثرين .. وانما صرفهم عن هذه الحقائق انسياقهم الضرير في التيار الجارف ، كشأن الهابط في المنزلق لا يستطيع الوقوف ، ولا يملك الوعي الذي يستهديه أثناء انحداره ..

انهم يدركون بالبداهة أن متاعها الذي يتطاحنون عليه لا يعدو صفة الحلم الذي يتراءى للنائم ، حتى اذا عاودته اليقظة لم يلف له أثراً ، فلو قيّض لأحدهم أن يحرز كل محتويات هذه الدنيا لم يكن حظه منها أكثر من حظ الطائر حين يأخذ الحسوة من اليم ، ثم لا يلبث أن يفارقها مكرهاً ، بعد أن تكون قد أكلت قوته كلها ، وجردته من كل حول وطول !

والحق أنه لواقع شقي كئيب لا يستهوي عاقلا ، ولا يستحق أن يدغدغ مأملا.. ومع ذلك ومع توافر العلم به لكل حي ، لا يكاد يخلص من سلطانه أحد إلا من رحم الله .

وليت رزية هؤلاء الغافلين عن الآخرة اقتصرت على شخوصهم ، ولم تتعدهم الى من حولهم من خلق الله ، اذن لهان البلاء على كبره ، ولكنها تمددت واتسعت حتى سدت الآفاق ، وأفسدت الأخلاق ، وعرضت كل حي لجزائرها الرهيبة .

لقد آثر هؤلاء الحياة الدنيا على الآخرة ، وأبوا أن يتطلعوا الى ما وراء أسوارها المحدودة ، فأنكروا ما استيقنته عقولهم وقلوبهم عناداً واستكباراً . ومن هنا كان انطلاقهم الأحمق في

طلب الشهوات ، والنزوع الى الطغيان ، والاستعلاء على عباد الله .

اقرأ معي في انعام قول الله في وصفهم : (أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ...) ان تكذيبهم بالآخرة ، وانكارهم يوم الحساب ، قد أغلظا قلوبهم ، وهونا عليهم أبشع أنواع الظلم ... وهل أدل على الطغيان من قسوتهم الحجرية على اليتيم ، الذي تفرض الأخلاق الكريمة تعويضه عن أبويه بالرحمة التي تنسيه غربته ، وتخفف وحشته !. بل انهم لم يكتفوا بحرمانه عطفهم حتى أضافوا اليه أسوأ ما يتصور من الاستخفاف بحرمة الانسان ، اذ جعلوا يدفعونه عنهم بأشد ضروب الدفع ، كأنما هو نار يخشون أن تؤذيهم .. وحتى هذا لم يقفوا عنده بل زادوا عليه حرمانه عطف الآخرين ، فلم يشجعوا أحداً ، بالقول أو العمل ، على مجاملته أو الاحسان اليه .

واذا كان هذا شأنهم في معاملة اليتيم فأي بر ينتظر منهم لغيره ! بل أي جريمة يمكن أن يتجنبوا اقترافها اذا أمنوا العقوبة عليها !

انه لواقع رهيب هذا الذي تثمره تلك الشجرة الخبيثة ، شجرة الكفر باليوم الآخر .

انها لتلغى الايمان بالقيم ، وتبطل مفعول الأخلاق ، وتهزأ بكل ما تعارفه الانسان على مر الدهر من الفضائل ، حتى ليستحيل بها المجتمع البشري غابة أفاع وعقارب وسباع يتفارسن جهرة واغتيالا .

انا لنشاهد اليوم هذا الجحيم المرعب ماثلا للعيان في الكثير من أنحاء العالم .. فكم من نظم لا تُقَوِّم الانسان بأكثر من مسار في آلة ، فلا حرمة له ولا كرامة ولا حق حتى في التأوه ، واذا جروء فشكا ألمه كان مصيره التصفية الجسدية أو غيابات السجون ، أو أبعاد المنافي ، أو الحكم عليه بالخلل العقلي ..

وكم من القطعان البشرية سلبها الكفر بلقاء الله كل أثر للوعى والخير ، فاذا هي كجراثيم الأوبئة الكاسحة تسوق الدمار والعذاب إلى عباد الله دون تمييز ..

وتبارك الله الذي أبرز دخائل أعداء الانسانية ، هؤلاء على حقيقتها حين أعلمنا أن (الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ١٦ — ٢٢) .

ولننعم الفكر في هاتين الصفتين الشيطانيتين : القلوب المنكرة والاستكبار ..

انهم في ظلمات بعضها فوق بعض ، لا يعرفون وجهة ، ولا

يهتدون سبيلا ، وقد فرغت قلوبهم من طمأنينة الحق ، فلم يبق فيها سوى قلق الانكار .. ومع ذلك فهم لا يقرون بهزيمتهم الروحية ، فيحاولون تغطية خوائهم بالاستكبار على كل دعوة إلى النور. ولا جرم أن مثل هذا الضياع أخصب بؤرة للجريمة ، لأن أصحابه مشحونون بالنقمة من كل استقرار ، فلا يحدون ربهم الا في مستنقعات الاثم والعدوان (ويل يومئذ للمكذبين .. الذين يكذبون بيوم الدين ، وما يكذب به الا كلُّ معتدٍ أثيم ٨٣ – ١٠) .

وأي أثم ، وأي عدوان هذا الذي يبدأ بحامله فيدمره أولاً ثم ينطلق لتدمير الآخرين ! .. (ان الذين كفروا ينادون : لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ، اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون ٤٠ – ١٠) .

واذا كانت الحياة دفعاً للألم وجلباً للراحة ، كما يعرفها المتفلسفون، فلن يكون في الخلق أشد ضلالاً واخفاقاً من هؤلاء. انهم رفضوا التصديق بموعود الله عن يوم البعث ، فحرموا أنفسهم فرصة الفوز بالاستعداد له ، وبذلك خسروا أول ما خسروا أنفسهم ولم يربحوا شيئاً (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ٦ – ١٢) .

ثم لنتسائل : بأي شيء يسوّغ هؤلاء الظالمون لانفسهم انكارهم يوم القيامة ؟ .

أليس بعث الموتى نوعاً من اعادة الحياة !.. أليست الاعادة أيسر قبولاً في منطق العقل من البدء الذي لا سابقة له ؟ .

إن انكار البعث لا يقل غرابة عن انكار الوجود نفسه لان دليل الوجود هو نفسه دليل البعث ، فاذا ثبت أن هناك موجدا للانسان كان ذلك دليلاً قاطعاً على أنه هو القادر على إعادته . وانكار الكافر موجده ضرب من المغالطات الوقحة كانكاره وجود نفسه تماماً ! .

ثم هل يقبل في عقل سليم أن يكون الانسان الذي زود بالطاقات الهائلة قد حدّد وجود بهذه الفترة التي لا تكاد تذكر من حركة الحياة ؟!. ان هذا الانسان ليرفع البناء صالحاً للبقاء آلاف السنين ، فكيف يُتَصَوّر أنه هو لا يصلح الا لهذه اللحظات العابرة من عمر المخلوقات ؟ ..

وسؤال آخر أيضاً .. إنا لنرى الناس ما بين ظالم ومظلوم، وكثيراً ما يستوفي الباغي نصيبه من الحياة دون أن تمسه يد العدالة .. فهل يُعقل في حق خالق هؤلاء الناس أن يدع ظالمهم في منجاة من العقاب ؟ .. ومحسنهم محروماً أبداً من نعمة الثواب ؟ .. ولا مجال لتصور الحالين الا بوجود البعث والحساب (ليبين لهم الذي يختلفون فيه ، وليسلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ١٦ ـ ٢٩) .

وأخيراً .. ان مجرد تصورنا لجحيم أولئك الجاحدين ، وما يعانونه من تمزق ، وما تعاني بهم الحياة من شقاء كاف لتقدير فضل الله بما منّ علينا من نعمة الايمان ، الذي لا يوفيه الشكران .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وصفة الهية

للاستفهام في لغة العرب معان كثيرة تختلف دلالاتها باختلاف القرائن المجاورة ، والأصل فيه طلب العلم بمجهول ولكن استعمالاته على خلاف الأصل تكاد تتجاوز الاحصاء، فهذا للنفى، وذاك للتعجب ، وآخر للتوبيخ ، ورابع للعتاب ، وواحد للانكار .. وهكذا دواليك .

وهكذا تعددت معاني الاستفهام في كتاب الله، وهي معيّنة الدلالات بقرائنها هناك ، ولكل واحد من تلك الاستفهامات آثاره التي لا تجد لها مثيلاً في أبلغ ما عرف من كلام البشر .

اقرأ معي في انعام قوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .. ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ٥٧ – ١٦) .

فهل لاحظت الجو الروحي الأخاذ الذي تنسجه همزة الاستفهام على ظلال الآية ! .

انها صيغة العتاب المثير ، يوجهه جـــل وعلا الى صفوة من عباده الذين يحبهم ، ويحب لهم ألا يفارقوا جلال الخشوع الذي هو فيض القلوب المشغولة أبداً بذكره سبحانه .

من طبيعة العتاب أن يكون بين متحابين ، غفل أحدهمـــا عن حق المودة، فاستحق التذكير الجدير برده الى ما غفل عنه.. ولذلك كان المألوف أن تـختار له الألفاظ الرقيقة المؤثرة ،وقد توافر ذلك كله في هذا الاستفهام الرباني ، فالخطاب من محبوب إلى حبيب ، والصيغة مؤدية دلالتها بأرق الكلمات .. ولكن ثمة ظلالاً للتركيب غير مألوفة في البليغ من بيان البشر ، وهي زائدة على كل ما دبجته أقلام الأحبة من روائع العتاب .

ولا عجب .. فمصدر العتاب هنا غير مصادرة الأخرى ، والمعاتبون في الآية ليسوا كالمعاتبين في غيرها ..

ان مصدر هذا العتاب هو جبار السموات والأرض ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها . يوجهه إلى صفوته من عباده بعـــد النبيين ، أولئك الذين استجابوا لدعوته ، وآثروا مرضاته على النفس والأهل والولد ، وكأنه سبحانه استقل ما يراه من اقبالهم عليه ، بالنسبة إلى ما توجبه عليهم معرفته ، فهو يذكرهم بما لا ينبغي أن يفوتهم تذكره .

عن ابن عباس رضي الله عنه . أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم بهذه الآية ، على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن .

وهؤلاء السابقون الى الايمان كانوا أشد ما تكون الحاجة إلى مداومة الاتصال بالله ، قياماً في الليل ، وتلاوة للقرآن ،وتفقهاً في الدين ، استعداداً لما ينتظرهم من مهـــام لا تطيقها الأنفس المتخففة من هذا الزاد، ومن هنا كانت الآية الكريمة دفعة جديدة من التحريك الروحي الذي يلهب المشاعر لمضاعفة الاجتهاد والجهاد.

انه سبحانه يخاطبهم بأحب صفاتهم (الذين آمنوا) ويستزيد قلوبهم من الخشوع لذكره، بتحقيق المعاني التي تتنزل على نبيه ﷺ لتصفية نفوسهم من مشغلة بغيره .

وهل يتصور أسلوب أدعى لاثارة القلوب المؤمنة ، ولجذبها إلى الاستجابة لهذا التوجيه الحكيم ، من مثل هذا الاستفهام الملهب للعواطف ، المؤجج للاستحياء من كل قصور في طاعة الله !.

ويأتي عقب ذلك التذكير المؤثر تحذيرهم من سقطات الذين سبقوهم من أهل الكتاب ، الذين طال انشغالهم عن آيات ربهم فأعقبهم ذلك قسوة القلوب ، التي تعزل أصحابها عن التفاعل مع حقائق الوحى ، حتى تصبح مستعدة لقبول كل باطل .

وفي المأثور حول هذا التحذير من مصير أهل الكتاب ، أن هؤلاء بما غشيهم من قسوة القلوب سهل عليهم أن ينبذوا كتاب الله ، ثم يقبلوا على الآراء المختلفة ، فقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دونه ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم لوعدٍ أو وعيد .

وانها لحقيقة مشهودة تلمس آثار جاهلية ، في الكثيرين ممن طال هجرهم لكتاب ربهم ، فتلاشت من قلوبهم حاسة التذوق لمعانيه ، فأورثهم ذلك جفافاً روحياً لا ينفع معه تذكر ولا تحذير .

يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ : (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتابُ ولا الايمانُ ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشأ من عبادنا ، وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) .

فالقرآن روح يحيي به الله َموات القلوب ، ونور يبدد ظلام الوجود .. فالمعرض عنه ميت القلب ، يخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، وليس بخارج منها ، وهكذا تكون قسوة القلب نذيراً بموته وظلامه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله . أولئك في ضلال مبين) .

ولكن الخطاب في الآية التي نحن بصددها ، موجه للاحبة المؤمنين ، الذين لا تزال قلوبهم تنعم بأشعة الوحي ، فتتمتع بالكثير من الاستعداد للخير .. الا أن ربهم يستبطئهم فيحذرهم الغفلة التي قد تضعف من ذلك الاستعداد ، فتعرّض قلوبهم للقسوة المهلكة .. وهذا يعني أن القلوب في أمس الحاجة إلى التعهد المتصل للابقاء عليها حية متوهجة بنور ربها .

انها كالنبات اذا لم تأخذ حظها من الغيث ذبلت وذوت وصوّحت .. وما غيث القلوب الحافظ لهـــا من اليبس سوى آيات الله ، التي سماها منزلها روحاً من أمره .

وهذا ما يؤكده سبحانه في الآية التالية اذ يقول : (أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ، قد بينا لـــكم الآيات لعلكم تعقلون) .

فها هنا بشرى لكل من ابتـُلِيَ ببعض القسوة في قلبه ، ترشده إلى الوصفة التي فيها وحدها الشفاء من ذلك الشقاء .. الا وهي العودة إلى كتاب الله والأكثار من ملازمته .

ان الذي جعل الغيث حيـــاة للأرض الميتة هو الذي جعل القرآن شفاء للقلوب المريضة ، اذا هي لاذت به في ثقة ، كما يلوذ السقيم بالطبيب الذي وثق بحذقه وصدقه ..

وقد رأينا الله جلت حكمته يؤكد على نبيه والمؤمنين معه وجوب الاتصـــال بالقرآن مهما تكن ظروفهم ، سواء كانوا مقيمين أو مسافرين ، أصحاء أو سقماء ، في سـلم أو حرب : (عَلِمَ الله أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله ، فاقرأوا ما تيسر منه ٧٣ – ٢٠) .

وكفى بهذا دلالة حاسمة على أهمية هذه الوصفة الالهية في معالجه كل خلل يعتري قلوب المؤمنين .

وأخيراً .. وبعد هذه الجولة السعيدة في ظلال تينك الآيتين الشافيتين ، نعود إلى تلاوتها ، ونحن أكثر تفهماً لاشاراتها ، وأصدق عزيمة على الاستشفاء بوحيها : (ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ، لذكر الله ومـــا نزل من الحق ... ولا يكونوا كالذين اوتوا من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون ! . أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها . قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) .

اللهم ارحمنا بالقرآن ، واجعله ربيع قلوبنا ، وجلاء همنا ، وذهاب غمنا .

منابر من نور

لم تكن المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في المدينة هي الأولى من نوعها في الاسلام ، بل لقد بدأت هذه المؤاخاة منذ مطلع الدعوة في مكة ، فقد ثبت أنه كان ﷺ كلما هُدِيَ واحد من صحابته إلى الاسلام ضمه الى مثله من المؤمنين ، فكان لكل منهم أخ في الله يأنس بقربه . ويتذاكر واياه ما تلقياه من دروس الوحي.. فلما وافت الهجرة اتسع نطاق هذة الوشائج حتى شملت كل المسلمين في دار الهجرة.

لقد كانت هذه المؤاخاة أحد الأسس التي قام عليها المجتمع الجديد ، اذ جعلت منه كتلة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . وقد برزت نتائج هذا التماسك في صفوف المسلمين، اذ كانوا على قلة عددهم ، بالقياس إلى الجماعات التي واجهوها خلال العهد النبوي ومن بعده من الراشدين، يمثلون القوة الفائقة في حلبات القتال ، حتى لتكاد أخبارهم في هذه الناحية تشبه الاساطير .

والمتأمل في أبعاد الأحداث لا يجد ذلك التفوق غريباً ،

لانه سيتبين أثناء تدقيقه في ما وراءه أن للاسباب الروحية أعظم الأثر في الاعداد له ، وقد فطن لهذه الحقيقة الكثير من المفكرين ، وبخاصة الرجال الذين واجهوا زحوف المجاهدين في حروب الردة والفتوح التالية . وهذا أحد فرسان الفرس يسأله قائده تفسيراً لهذا الانهيار الذي ينتهون اليه كلما تقدموا لقتال المسلمين ، فيجيب: ما منا واحد الا وهو يتمنى أن يموت صاحبه قبله ، وليس فيهم واحد الا وهو يتمنى أن يقتل قبل صاحبه !.

ومن هنـــا جاءت ثقة المجاهدين بأنفسهم بعد استفراغهم الوسع في طاعة ربهم ، حتى ليعترض الرجل الواحد منهم كتيبة من العدو فيقذف في قلوبها الرعب، كأنما هو الكتيبة وهم الفرد. وما أروع كلمة سيف الله تعبيراً عن هذه الثقة حين كتب إلى قائد الفرس : لو صعدتم إلى السماء لرفعنا الله اليكم أو أهبطكم الينا حتى نقتلكم) .

انها التربية النبوية التي غرست التحـــاب في الله في قلوب أولئك الصفوة من عباد الرحمن ، فـــكانوا به الدم الجديد في شرايين البشرية، وكانوا المثل الأعلى للجماعة التي أخلصت ولاءها لله ، ففيه تحب ، وفيه تبغض ، وفي مرضاته تسكن وتتحرك ، وبذلك استحقت نصر الله حتى لكأنها احدى مظاهر قوته التي لا تُغلب .

والحب في الله ، إلى جانب كونه مستوجبات التفوق،هو في

الوقت نفسه مورد القلوب المتصافية إلى مناهل السعادة ، التي لا سبيل إلى تحقيقها الا عن هذا الطريق .

أخرج أبو داود من روايه عمر رضي الله عنـــه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ان من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ، بمكانهم من الله. قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس) وفي رواية الترمذي (يقول الله تعالى : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور . يغبطهم النبيون والشهداء) .

ان الخبر لعجيب ، لذلك يؤكده ﷺ بكل عوامل التوكيد حتى القسم .. وما ذلك الا للاشادة بمنزلة أولئك الابرار الذين استحقوا كل هذا الانعام من ذي الجلال والاكرام .. انهم ليسوا من الأنبياء ، ولم يقدر لهم مصرع الشهداء . ولكنهم مع ذلك نالوا من فضل الله ما جعلهم موضع الغبطة من هؤلاء وأولاء .. وكل ما قدموه من القربات انهم تواصلوا في طاعته سبحانه ، فكان كل منهم للآخر كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ،فأسعدوا دنياهم بما أحرزوه من الانس في ما بينهم ، وعمروا أخراهم بما استأهلوا من تجلي مولاهم .

ولنقف قليلاً على بعض التعابير النبوية في كلا الحديثين الشريفين ..

ان تحابّ هؤلاء مترفع عن شهوات الدنيا ، فليس وراءه من دافع سوى ابتغاء مرضاة الله ، حتى قرابة الدم لم تتوافر بينهم ، وانما هو نسب الايمان الذي يجمع البعداء حتى ليكونون أقرب من الانسباء .

ثم ان وجوههم لتحمل أشعة قلوبهم ، ففيها ملامح الخير الذي يدعون اليه ويتعانون عليه .. قد صانتهم تقوى الله سن اللغو والزور ، وأمدتهم بالحكمة والسداد ، فهم من ذلك على نور من ربهم ..

هذا شأنهم في الدنيا ، أما في الآخرة فحسبهم أن يكونوا من العلية الذين سلموا من الخوف والحزن .. حيث أولياء الله وحدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ذلك لانهم كانوا مستمري الخوف من عذاب الله في حياتهم الدنيا ، فأعقبهم ذلك روح الأمن في الآخرة ، وشد ما راودهم الحزن على من حولهم من المفرطين في جنب الله ، فأبدلهم مولاهم من الحزن حبوراً كثيراً ، في روضات لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً .. وأي قلم يسعفه البيان باستيفاء الصورة الكاملة لمنابر النور ،التي خص بها الله سبحانه هؤلاء المتحابين فيه !..

ولعمر الحق ان العقل السليم ليستشعر منتهى العدالة في هذا

الثواب الباهر الذي أسبغه رب العزة على هذا الضرب المفضل من عباده . لقد كانوا في حياتهم الدنيا زينة الوجود ، وبهجة الأنفس ، والقدوة الحسنة لكل راغب في الخير ، فكانوا الأحرياء بكل تكريم في جناتِ النعيم .

ان الحياة الدنيا ميدان تنافس وكدح وابتلاء ، وهي في غاية أمرها متاع غرور ، فاذا خلت من نفحات الحب الأعلى جف فيها كل شيء ، وانتهت إلى أن تكون كالقفر عُرّي من ظل ومن ماء .. وذلك هو الشقاء كل الشقاء .

والحب لا يستحق أن يوصف بالعلو الا اذا كان في الله ، فهو حب العبد لبارئه أولاً ، ومنه ينطلق إلى كل ما يحبه المحبوب . والله يحب الصالحين من عباده ، ويحب العمل الصالح ، ويحب العمل الصالح ، ويحب المتحابين فيه ، المتعاونين على تحقيق ما يحبه من قول وعمل . وهكذا يكون هؤلاء الموصوفون في الحديثين الشريفين موضع رعاية الله في الدنيا والآخرة لانهم قدموا بسلوكهم العالي الانموذج الحي للصفات التي يحبها الله ، فكانوا بذلك ألمع الدعاة اليه سبحانه . ومن هنا كان أوثق عرى الايمان أن تكون الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله ، كما روى البيهقي في (شعب الإيمان) عن رسول الله ﷺ .

ولقد بلغ هذا النوع من التواد في قلوب السلف أقصى ما يتصوره الخيال ، وفي تعبير القائد الفارسي الذي قدمناه مطلعّ هذه الحلقة ، عن تفاني المجاهدبن للحفاظ على إخوانهم ، أحد

الأمثلة التي لا تحصى عن هذه الحقيقة ، ونختم حديثنا الان بذلك المثل الآخر الذي رواه أحد أئمة العلم عن نفسه واخوان له في الله ، اذ أقبل عليه العيد وليس في يده ما يفرح به قلوب بنيه ، فكتب إلى أحدهم بأمره يسأله العون اذا تيسر له ، فلم يلبث أن أنجده بصرة فيها بعض المال ، ولكنها ما كادت تستقر في يده ، حتى وافته رسالة من أخ ثان يسأله العون لمثل حاجته ، فلم يتريث حتى بعث بها اليه .. وهكذا جعلت الصرة تدور بينهم حتى انتهت إلى مرسلها الأول دون أن يعلم أحد بما فعل أخوه .. وهكذا تحقق في هذه الثلة من التابعين مـــا حققه السابقون من أنصار رسول الله الذين قال فيهم ربهم : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

فاللهم نفحة من رحمتك تلحقنا بهؤلاء المتحابين فيك ، من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

ذات البين

الكلام عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متسع الجوانب لا يفي به حديث عابر ، لانه كلام عن النظام الاسلامي وطريقته في بناء المجتمع السليم .

أخرج البخارى في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً) .

هذا الحديث أحد نماذج البلاغة النبوية ، يعرض للمفكر صورة دقيقة الملامح لبعض أساليبه ﷺ في التبليغ والتعليم .

فها هنا تمثيل عجيب لحال المجتمع المسلم وترابط أجزائه وتداخل مسؤولياته ، فالسفينة هنا هي الكيان الذي يتعايش

فيه المسلمون ، والركب هو أفراد الجماعة ، توزعوا مكاناتهم ومهامهم في قلب هذا الكيان ، فمنهم رجال القمة ومنهم مؤلفوا القاعدة ، وكلهم سواء في واجب الحفاظ على هذا الكيان .

ومن طبيعة الأوضاع في كل جماعة انسانية ألّا يتساوى أفرادها في مدى الادراك للعلاقات الاجتماعية في ما بينهم ، فهناك أولو الألباب الذين توافرت لهم قدرة التصور لواقع هذه العلائق ، فهم يقدرون تبعاتها ، وينهضون بعبئهم في تعهدها بالرعاية اليقظة ، يقيناً منهم ان كل تحسين في أحوال مجتمعهم انما هو خير لهم جميعاً ، وكل خلل يعتريها فعاقبته الخسر للجميع .

وإلى جانب هؤلاء الراشدين أصناف شتى تتفاوت قرباً وبعداً عن هذا المحور ، حتى يكون بينهم من لا يشعر أي مسؤولية تجاه غيره ، وانما يعيش في دارة مغلقة من منافعه الخاصة العابرة ، لا يكاد يتجاوز ببصره حدودها الضيقة .

وفي هذه السفينة التي يعرضها البيان النبوي تصوير لواقع المجتمع المسلم بكل ما فيه ومن فيه ، ليس في زمان بعينه بل في كل زمان ومكان .

ان هناك نماذج للافراد المحدودي المدارك ، وهم من النوع الذي يجمع بين حسن النية وسوء التفكير ، كان نصيبهم من

السفينة أسفلها، فلا وصول لهم إلى الماء إلا بأن يرتقوا إلى ظهرها، وهذا ما يكلفهم العناء علاوة على ما يحمّلون سواهم من ثقلهم أثناء النزول والصعود، لذلك اتجه رأيهم إلى اختصار الطريق، والحصول على حاجتهم من المـــاء عن طريق خرق يحدثونه في مكانهم من السفينة .

وطبيعي أن مجرد اقدامهم على هذه الخطة نذير بالقضاء على الركب كله، من كان في علو السفينة ومن كان في سفلها على السواء .

ومما يسترعي التأمل العميق في الحديث الشريف انه وقف في التمثيل عند هذا الحد، فلم يرنا موقف الفئة الواعية من هذا التفكير الساذج، وانما اكتفى بالتعقيب عليه بمـــا يبين أهمية التحرك لمواجهته والحيلولة بينه وبـــين التنفيذ (فان تركوهم هلكوا جميعاً، وأن أخذوا على أيديهم نجوا جميعـــاً) . وهو تعقيب مثير يؤدي من النتائج التعليمية ما لا تحققه خاتمة القصة أيّاً كان شأنها، فضلاً عن أننا نستشف من نسق العرض ان الخطر أُوقف عند حدود المحاولة، اذ من المستحيل أن يُترك أولئك السذج يعملون ما يشاءون دون أن يؤخذ على أيديهم .

ولاستكمال العبر المستفادة من التمثيل النبوي لا بـــد من استحضار الصورة المتخيلة لفئات الركب الأخرى، فهناك أهل

الوعي الذين وقفوا بوجه المحاولة الخطرة ، ولم يكتفوا بالانكار القلبي بل عمدوا إلى منعها عملياً ، وذلك ما نفهمه من التعبير بالأخذ على الأيدي . وبين هؤلاء وأولئك آخرون لم نشاهد لهم أثراً ، ولكنهم موجودون حتماً ، وهم الذين لا يتجاوزون في العادة حدود الانكار بالنية ! ..

واذن فهناك ثلاثة أصناف من الناس : المخربون بحسن النية ، والمنكرون ضمن نطـاق النية ، والمقدرون لعواقب المغامرة الناهضون بمنعها .

وانهم للنماذج التي نواجهها في كل مكان وزمان ، وان زاد عليهم في أيامنا صنف رابـع من الذين ليس وراء تخريبهم نية طيبة ، وانما يتخذون من التخريب هواية لا يرجون من ورائها الا مجرد التخريب .

ونتساءل الآن عن ابعاد هذا الدرس النبوي العظيم ؛ وما ينطوي عليه من ضروب العلاج للواقع الحائر الذي يعيشه معظم المسلمين في عالمهم الأوسع .

ان رسول الله ﷺ بهذا التمثيل المبين يضع كل مسلم أمـام مسؤولياته نحو أمته ودينه ، فلا يعفى منها أحداً ، وان تفاوتت الحظوظ من هذه المسؤوليات تفاوت القدرات والعقول بإزائها .

فنحن أيا كنا ، قلة أو كثرة ، قوة أو ضعفاً ، لا نعد واقع الركب في سفينة يوشك اليم أن يبتلعها ، بسوء التصرف الذي يقترفه المغفلون من هذا الركب ، ولعلهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ! .

أفنغضي عما نرى من ذلك المنكر مكتفين بالاستغفار لذنوبنا ، أم نتقدم لاطفاء الحريق قبل أن يمتد اللهب إلى منازلنا .

ما أحسب بيننا أحداً يخطيء اختيار أفضل السبيلين ، وان كان كثيرون منا في واقع الأمر لا يحركون ساكناً بازاء النار الزاحفة .. ولئن سألتهم وناقشتهم أعرضوا قائلين : ألم تقرءوا قول الله (عليكم أنفسكم) ! ولو أعملوا عقولهم قليلاً في مدلول الأمر الالهي ، على ضوء المقاصد العامة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لعلموا أن الحجة عليهم لا لهم في ذلك .

ألا أن في مثل السفينة النبوي لدروساً عالية ، تعلمنا أن المجتمع الاسلامي كالجسد الواحد ، سلامة كل عضو فيه شرط في سلامته كله ، وأن السكوت عن أي خلل فيه نذير باختلاله جميعاً .

ولعمر الله لو أن المسلمين أخذوا أنفسهم بهذا التوجيه العظيم لحققوا أمر ربهم القائل في كتابه الحكيم :(انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ٤٩ — ١٠) واذن لما سمحوا للخصومات الجانبية أن تزلزل وحدتهم ، وتقطع

أرحامهم ، ولاستعادوا من أقرب سبيل منزلتهم المكرمة في موازين العالم .

ولله ما أروع قول الصادق الأمين ﷺ : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ! .. اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .

ربنا أدركنا برحمتك ، وحببنا بشريعتك ، لنصلح ذات بيننا ، ونعود كما أحببت لنا ..

المنهج الامثل

قصة آدم في القرآن الكريم هي قصة البشرية كلها ، تضع أمام القارىء الحصيف مخططاً كاملاً لحياة الانسان والطاقات التي زود بها لتحقيق مهمته ، التي من أجلها من الله عليه بالوجود .

وأول ما يطالعنا من قصة آدم عليه السلام هو اعطاؤه وظيفة الخلافة في الأرض ، ومهما يختلف فهم العلماء حول هذه الخلافة ، فلا مندوحة عن اعتبارها مركزاً تشريفياً عظيماً جعل الملائكة يغبطونه عليه ، ثم يأتي المشهد الثاني وهو التعليم الذي تولاه الله جل شأنه ، اذ (علم آدم الاسماء كلها) ثم اجراء الاختبار عليه (قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم) فما لبث أن أنبأ الملائكة بما أراد ربه سبحانه ؛ فأثبت بذلك صلاحيته وصلاحية نسله للمهمة الكبرى التي أعدوا لها .

فالصفة العليا للجنس الآدمي هنا هي تزويده بخاصية العلم التي تطوع له العصي من الأسبـــاب ، وتكشف له من قوانين الكون كل ما يساعده على تحقيق المهمة المنوطة به .

ويُلحظ من جواب الملائكة على اعـــلان الله عز شأنه لهم ارادته خلق الانسان الأول (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ؟ يلحظ بهذا التساؤل المتعجب أنهم بنوا استنتاجهم على طبيعة التراب ، الذي أخبر سبحانه أنه سيكوّن آدم منه (اني خالق بشراً من طين) وغفلوا عن تتمة الخـــبر (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فبخاصية الطين يكون هذا المخلوق أدنى إلى الهبوط الذي يستتبع كل شيء من الممكنات ، ولكنه بخاصية النفحة الالهية سيكون مؤهلاً للسمو إلى أرفع المقامات .

بيد أن السر الذي لا تتعذر معرفته على المتأمل ذي الفطنة أن مجرد الجمع بين طبيعة الطين الأرضية وخاصية النفحة الالهية، وضع الجنس البشري منذ اليوم الأول أمام معركته الأبدية بين مثقلات تلك وروافع هذه ، ذلـــك الصراع الرائع الذي به تنكشف قيمة الانسان،ويسجل استحقاقه للنجاح أو الرسوب.

ولكن خالق هذاالانسان،الذي قدر له خوض هذه المعركة الهائلة ، لم يسلمه اليها الا بعد أن زوده بكل مـــا يساعده على تحقيق الانتصار فيها ، اذ أودعه بذور المعرفة الأولى بما ركز في فطرته من المؤشرات الدالة على الحق (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟. قالوا : بلى ٧ – ١٧١) ثم أعلمه منـــذ أهبطه إلى مستقره من الأرض انه سيتعهد نسله بالرعاية الدائمة ، عن طريق المصطفين ،

الذين سيحملهم رسالاته اليه ، ليتخذ منها أدلته التي تجنبه الضلال ، وتصونه من عبث المضللين (فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ٢٠ - ١٢٢) .

ومن هنا ، من هذه المقدمات الواضحة ، جاء التفاوت الذي يميز بين كل صنف وآخر من أبناء آدم ، حتى يكون (فريق في الجنة وفريق في السعير) .

وبديهي ألّا سبيل إلى المصير الأعلى الا عن طريق العناية بالجانب الأعلى من خصائص الانسان ، الجانب الذي أولى مميزاته العلم الذي به يتفوق على سائر المخلوقات ، وبه يحقق مهمته في تشييد الحضارة المثلى ، التي تؤلف بين طاقة الطين وشفافية الروح ، بحيث يكون كل فصل بينهما مؤدياً بالانسان إلى السقوط .

ومن نعم الله الكبرى على الجنس البشري أن تكون آخر رسالاته إلى خاتم أنبيائه ، صلوات الله عليهم ، تجديد لهذا المنهج الأمثل ، الذي زود به أباهم الأول منذ أن علمه ما تفوّق به على ملائكته .. وأهله لتكريمهم بالسجود له .

(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ٩٦ - ١ - ٥) .

هكذا كان بدء الوحي إلى رسول الله عليه صلوات الله

وسلامه ، دعوة إلى القراءة ، وتمجيداً لله الذي أرشد الانسان إلى الانتفاع بالقلم ، وأهله للتأمل والتفكر والبحث والاستنتاج، ليرقى بعلم ما لم يكن يعلم إلى ما فوق طبيعة الطين ..

والمفكر ذو القلب الحي لا يسعه أن يمر بهذه الكلمات الالهية دون ان يغوص إلى الأعماق من دلالاتها البعيدة .

فها هنا أمر بالقراءة ، ولكنها ليست كأي قراءة ، بل هي قراءة معينة الاتجاه ، تسمو بالقلب والعقل إلى تمجيد الرب الخالق ، الدي أبدع الكائن البشري من أبسط العناصر ، وأتاه من الملهمات ما ارتقى به إلى أسمي المنازل ، ثم أقدره مع ذلك على اختزال خبراته المتطورة في صحف مسطورة تُيَسِّر تداولها بين الأقاليم والأجيال ، على اختلاف الظروف والأحوال ..

أجل . انه العلم الذي يحفظ على الانسانية طمأنينتها، ويحقق لها سعادتها ، لانه وسيلة المخلوق البشري إلى التزام الخط المضيء الهادي دائماً وأبداً إلى سواء السبيل .

في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت

كلا . فذاك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلـّم ، ومثل من لم يرفع بدلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .

في هذا التمثيل العميق الدلالة يلخص الصادق الأمين ﷺ مضمون رسالته إلى العالمين ، فهي رسالة هدى وعلم ، أشبه ما تكون بالغيث الذي به حياة الأرض وما عليها ، وكما يختلف تلقي الأرض لهذا الغيث ، فيكون منها الطيب السريع التفاعل ، الذي لا يلبث أن يأخذ الماء حتى يعطي الزوق والجمال ، ويكون منها الجديب الذي لا يصلح الا لحفظ الماء للاحياء ، ثم يكون منها الصنف الذي لا خير فيه ، فلا اختزان ولا انبات .. هكذا الناس بازاء رسالته ﷺ كهؤلاء الثلاثة الأنواع . فهناك أولو الحجى ذووا الفطر السليمة ، لا يكادون يستمعون لآيات الله حتى تتلألأ قلوبهم بأنوارها ، ثم ينطلقون لتعميم خيراتها بين عباده .. ثم هناك الصالحون الذين لا يملكون مثل مواهب أولئك السابقين ، ولكنهم يملكون الصدق والامانة ، فهم يحملون ما يسمعون من ذاك العلم إلى من يحسن فقهه وايضاحه للناس .

أما ثالث هذه الاصناف فهو الذي تجرد من كلتا الفضيلتين ، فلم يتفاعل قلبه مع حقائق الوحي ، ولم يسمح لنفسه بالاصغاء لكلمة الحق ، فانتهى إلى ما سعى اليه من الفساد والضّياع .. وليس ثمة أبلغ في وصف هذا الصنف من أنه لم يرفع بذلك رأساً

ولم يقبل هدى الله الذي بلغه رسوله .

ولنقف قليلاً عند هذا الانموذج الخاسر ، ففيه عبرة ، وفي واقعه ، الذي نوشك أن نشهده في كل مكان ، دروس لا يحسن بالعاقل أن يمر بها دون فائدة .

انه ليس جاهلاً .. اذا كان العلم هو القــدرة على القراءة والتعبير ، فقد يكون من خريجى الجامعات المثقلين بالعديد من الشهادات .. أما في قياس الوحي الذي حصر رسالة القراءة والكتابة في نطاق الدعوة إلى الله . والتأمل في ملكوت الله ، والتمجيد لجلال الله ، فلا ريب أنه جاهل ، بـل من أجهل الجاهلين ، لأنه لم يحسن الانتفاع بمواهبه ودراسته ، فبدلاً من أن تدفعه إلى الأعلى ، شدت عينيه إلى ما بين قدميه ، فــلم يستطع أن يتجاوز موطئها ..

لقد علم هذا المسكين ظاهراً من الحياة الدنيا ، فكفر بما وراءها ، دون أن يسأل نفسه أو شياطينه عن الدليل ..

وقد قص علينا ربنا خبر هؤلاء من ماضين وحاضرين وآتين ، فأرانا منهم أولئك الذين لما (جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ٤٠ ــ ٨٣) وأرانا منهم كذلك الذي قال عنه سبحانه (أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ٧ ــ ١٧٥) وعرض علينا صورتهم في هذا التركيب العجيب (مَثَلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ٦٢ ــ ٥) .

وحقاً انهم لَحُمُر أثقلت بأحمال الكتب ، فليس لها منها سوى التعب والنصب .. فاذا كتبوا فللتضليل ، واذا خطبوا فللتهويل ، واذا ألّفوا فللافساد والتدجيل . ولعمر الله انهم لَمَثَلٌ للعلم الشيطاني الذي كان من دعاء رسول الله ﷺ أن يستعيد منه كما يتعوذ من الشح والهرم وغلبة الدين وقهر الرجال ..

وربما توهم بعض القراء أننا ننكر على الناس اقبالهم على العلوم الكونية ،وندعوهم إلى قصر دراساتهم على العلوم الشرعية وحدها ، وما كان لمؤمن أن يقول بذلك وأمامه كتاب الله الذي لا ينفك عن الدعوة إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض ، ولكننا نحذر من فصل العلم الكوني عن النهج الرباني ، ونذكر الغافلين بأن كل عزة أكرم الله بها سلف هذه الأمة انما انبثقت عن الاستمساك بحبل الله ، والاتجاه بكل علم إلى مرضاة الله ، وذلك هو الصراط الذي لا يزيغ عنه الا هالك .

صيحة من الغرب

قبل أيام أذاعت محطة لندن ترجمة الكلمة التي وجهها أسقف كانتربري إلى الأمة البريطانية ، وفيها انذار رهيب بالمصير الأسود الذي ينتظرها ، اذا استمرت في منحدرها المظلم الذي انتهت اليه في حياتها الاجتماعية .

لقد أكد هذا الأسقف في كلمته الصريحة على الانهيار الخلقي الذى تعانيه بريطانية في هذه الحقبة من تاريخها ، وعلى اسرافها في عبادة المادة ، التي توشك ان تدمر طاقاتها ، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية . وهو يرى أن مصير بريطانية كأمة ذات مكانة عالمية هو الزوال حتماً اذا لم تحاول عـــلاج هذه الأوضاع المخيفة بالعودة إلى الأخلاق ، والعناية بالجانب الروحي الذي توشك ان تنسلخ منه تماماً .

واسقف كانتربري في بريطانية ، وفي العالم البروتستانتي ، بمنزلة البابا في ايطالية والعالم الكاثوليكي ، فلصيحته هـذه قيمة نظرية لا تنكر في الغرب ، وان أفقدها الشرود الخلقي والضياع

العَقَدي أي أهمية من الناحية العملية . ولذلك كانت جديرة بالتأمل بوصفها شهادة واحد من خبراء القمة في دنيا النصرانية .

ان من حق هذه الصيحة أن تهز أسماع الجيل الذي نشأ على تقديس كل ما هو غربي مهما يبلغ من الشذوذ والبعد عن مقاييس الفضيلة ، حتى ليعلن مضللوه من حملة الأقلام أن ممارسة كل صغيرة وكبيرة من مشكلات الحضارة الغربية قاعدة أساسية لا مندوحة عن تطبيقها للوصول إلى النهضة الصحيحة ، ولا خلاف على أن في شهادة هذا القس صدمة موجعة لهؤلاء المخدوعين . ولكنها قد تكون نافعة ، كالصفعة على وجه السكران يعالج بها لرده إلى الصحو .

ولعل من مقومات هده الشهادة بالنسبه الينا نحن المسلمين انها اعتراف بواقع الفساد المبير ، الذي جعل يجتاح أمتنا عن طريق التبعية لاولئـــك الذين يخاطبهم الأسقف ، فاذا عجز اعترافه هذا عن النفاذ إلى ضمائر الغربيين ، لانهـــا فقدت أو كادت تفقد قابلية الاستفادة من كل وعظ يوجهه هؤلاء القسس إلى أبناء ملتهم في الغرب ، فلن يعجز عن تحريك عقول وقلوب الكثيرين من هذا العالم الاسلامي ، الذي – على الرغم من كل النوازل لا يزال أقرب إلى الخير والحق من سائر أمم الدنيا. ومرد ذلك انسلاخ النصرانية الكنسية نهائياً عن منابع الوحي الالهي ، وانحصارها في مقررات رجال الكنيسة ، الذين يرون

من حقهم تكييف الدين وفقاً للتطورات العابرة كائنة ما كانت ، حتى لم يتورعوا عن اباحـــة المحرمات ، والاسهام في اشاعة المنكرات ، التي كان لها الأثر الكبير في ترويج هذه المفاسد ، التي يحذر قس كانتربري بريطانية اليوم من عواقبها الوخيمة . هذا على حين أن الاسلام بالتزامه مصادر الوحي من كتاب الله وسنة رسوله هو المسيطر على الكـــثرة من علمائه ، الذين لا يبرحون قائمين بالدعوة إلى الله على بصيرة وبكل أمانة ، فـلا يسمحون لانفسهم بمفارقة ما يعلمون أنه الحق قيد أنملة ، الأمر الذي ساعد على استبقاء ثقة الجماهير المسلمة بهم ، واستدامة الثقة الروحية بدين الله ، فظلت شديدة التفاعل معه ، تحاول جهدها التزام مبادئه في سلوكها الاجتماعي ، فتحل ما أحـــل وتحرم ما حرم . ومن هنا كانت فضائل الاسلام ولا زالت هي منار القيم العليا في حياة الشعوب الاسلامية أنىوجدت ، ومهما اعترضها من المعوقات .

ونظرة فاحصة إلى مسارب المؤتمرات الاجتماعية في الغرب ، ومنه إلى مختلف أنحاء الشرق، تؤكد أن كل التلوثات التيعانيها انسان العصر العشرين انما مرجعها إلى غياب العنصر الروحي عن مركبات الحضـــارة الغربية ، التي فرضت مفهوماتها على التفكير البشري في كل مكان من هذه الأرض .. وحتى أساقفه كانتربري لم يستطيعوا تحرير أنفسهم من ضغوطها ، فبدلاً من أن يكونوا حراس الاخلاق ، والمعارضين لكل انحراف عن النهج

السوى في حياة بريطانية ، الأشد التزاماً للمحافظة من سائر شعوب أوروبة ، اذا هم يستسلمون للسيل ، فيصدرون الفتاوى بقبول كل تطور مناف لروح الدين .. وهذه آثارهم شاهدة عليهم في مقررات مجلس العموم البريطاني ، حين أفتوه بأن اللواط من متعلقات الحرية الشخصية التي لا ينبغي لشرطة الأخلاق ملاحقة أصحابها ، وحين اتخذوا من المغريات الشيطانية وسيلة لاجتذاب الشبان إلى الكنيسة ، فأنشئوا بجانب كل معبد ملهى تابعاً له يموج بالرقص والخمر والفجور ، زاعمين انهم بذلك يخدمون الدين الذي هجره الجيل الجديد لظنه انه يعارض شهواته ، ويحرمه من متعه وملذاته ! .

لقد كان من نتائج هذا السقوط في عقلية رجال الدين في الغرب أن انطلقت بقية الغرائز من عقالها ، فلم تقف في تصرفاتها عند حد معقول . وها هي ذي تمارس نفوذها اليوم على القوانين نفسها ، ففي واحدة من أرقى دول أوربة يسجل عقد الزواج بين الذكرين لدى الدوائر المدنية ، وفي واحدة أخرى مثلها يتزوج الأخ أخته بموافقة الدولة ، ويسجل ذلك عند كاتب العقود ، وفي دولة ثالثة يبيح مجلسها التشريعي تبادل الزوجات ، ويعتبر ذلك حقاً لمن أراده دون محذور .

ولئن دل هذا فعلى أن النصرانية الغربية قد أثبتت عجزها نهائياً عن معالجة قضايا الانسان .. وتلك حقيقة صارخة أعلنها

العديد من مفكري الغرب نفسه بمختلف وسائل الاعـلام الحديث . وحسبنا أن نشير منها إلى بعض المؤلفات التي لا يجهل خبرها مثقف في العالم ..

فهناك كتاب سقوط الغرب لشبنجلر .

وهناك كتاب سقوط الحضارة لكولن ولسون .

وقليل من التـأمل في عنواني الكتابين كاف للكشف عن مضمونها، الذي ينصب على ابراز فساد الحضارة الغربية وخطرها المدمر للانسان ، وبوجه خاص على آثار الانحراف الكنسي في توجيه هذه الحضارة إلى مصيرها الرهيب .

ونشير إلى كتاب ثالث أكثر ايضاحاً لهـذه الحقيقة ، هو كتاب (الانسان ذلك المجهول) للطبيب الفيلسوف الكسيس كاريل ، الذي يلح على التوكيد بأن أخطر جوانب هذه الحضارة كونها لم تراع فطرة الانسان ، ولم تعبأ بخصائصه ، فهي جناية على حياته ، ودمار لاستقراره وهناءته . وفي تحليلاته الدقيقة العميقه شهادة عدل بأن خواءها الروحي هو أهم أسباب سقوطها . ومن المسؤول عن ذلك الخواء الروحي سوى أساقفة كانتربري وروما وباريس وواشنطن ، وبقية القيادات الكنسية في الغرب !..

أجل .. ان في صيحة كبير أساقفة بريطانية اليوم لنذيراً للغافلين من أبناء المسلمين ، الذين خدعهم بهرج الحضارة الغربية عن سمومها ، فاقبلوا يعبون من أفنينها ، دون تفريق بين الضار

والنافع ، كخاطب الليل يجمع بين الخشبة والثعبان ، وهو لا يعلم أن في ذلك منيته ! ..

والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها وأهلها ..

وأخيراً .. ان من حقنا ، ونحن بازاء هذا النذير الخطير ، أن نستشعر نعمة الله علينا بهدايتنا إلى المنهج الحق ، الذي به جعلنا شهداءه على الخلق ، فكلما ادلهم ظلام الناس من حولنا، عرفناعظمة النور الذي يضيء سبيلنا .

وصلى الله وسلم على قائدنا إلى العزة والمجد ، الذي يقول له ربه في كتابه الحكيم : (فاستمسك بالذي أوحى اليك . انك على صراط مستقيم) .

مجتمع الايمان

لقد شاء الله أن أكتب هذه الحلقة صباح يوم الجمعه وكان ذلك بعد تلاوتي سورة الكهف ، التي ورد في فضائل تلاوتهايوم الجمعة العديد من الآثار الشريفة .

لقد وجدتني أقف ملياً عند قوله تعالى (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ،ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنـــا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) .

وتذكرت هنا ما كنت أكتب به الى ابنائي الطلاب الذين يتفقدونني برسائلهم من أوربة بوجــه خاص يستوضحون عن بعض المشكــلات أو يكلفونني توجيههم إلى بعض النصائح ، فكنت أجعل هذه الآية العظيمة المحور الدي أدير حوله معظم حديثي في الكثير من الاحيان . ذلك لأني استشف من خلال هذه الارشادات الالهية منهاجاً اجتماعياً موجهاً لكــل مؤمن يهمه صلاح – دينه ودنياه .

أن الانسان مخـلوق اجتماعي لا يمكن تصوره منفرداً عن أبناء جنسه ، فهو مع أبويه وأسرته الأدنين اولاً، ثم مع قرابته الأكثر أتصالاً بالاسرة ثانياً ،ثم يتسع محيطه من الحي الى المدرسة إلى الأوسع فالأوسع من البيئات ، حتى يجد نفسه تلقاء المجتمع البشري كله عن طريق الآلاف من وسائل المعرفة والاطلاع ، ولا سيما في هـــذا العصر الذي قلص المساوف ، وحطم مختلف الحواجز بـــين البشر ، حتى لكأن الفرد وهو في حجرة نومه يعيش مع العالم كله ...

وطبيعي أن لكل جانب من هذا المجتمع الكبير أثره في نفس الفرد ، سواء كان هذا الأثر سلبياً أو أيجابيـاً ، عميقاً أو سطحياً .. فأذا هو فتح نوافذ قلبه على كل شيء دون تحفظ أو تخير أو نقد كان حرياً أن يضيع في غمرات هذا الخضم الرهيب .

والفرد المؤمن أنسان كغيره من بلايين أبناء آدم المنتشرين على هذه الكرة ولكنه يمتاز عنهم جميعاً بأن له وعياً يعصمه من الذوبان في الجماهير الضائعة . أنه يحمل بين جنبيه فرقاناً الهياً على نوره يسير ، وبه يميز بين المتشابهات من الأمور ، فلا يخدعه برق يستهوى الفارغين ، ولا تصرفه عن وجهته المضيئة مغريات الشياطين ، وانصارهم وأعوانهم من المضللين والمضللين .

ولقد عرف هذا الانسان طريقه الصحيح بين مجاهل هذا الكون منذ اليوم هُدِيَ به إلى الدين الحق ، وفتح قلبه لوحي

ربه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ممثلاً في كتاب الهي لا يغسله الماء ولا تبلى عجائبه ، وفي حكمة نبوية تتهاوى عقول الحكماء من حولها وهي شامخة في القمة من السداد ، تهدي من أتبع رضوان الله سبل السلام والرشاد .. فهو متمسك بعرى هذا الوحي ، موقناً أتم اليقين بأنه على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك . ومن هناك ، من مرقبه الأعلى يطل على الغارقين والمتخبطين والهائمين مشفقاً آسياً . تكاد نفسه تذهب عليهم حسرات وهو يهيب بهم : أيها الشاردون .. إليّ إليّ .. فها هنا طريق النجاة .

أجل انه الوحيد بين هاتيك البلايين الذي عرف طريقه الصحيح ، وحرص على دعوة التائهين اليه لاخراجهم من مستنقعات البوار إلى رياض السعادة والاستقرار . ولن يزيده تطور الأحداث من حوله الا إيماناً بقول مولاه الكريم الحكيم : (قل إن ضللت فأنما أضلُّ على نفسي ، وأن أهتديت فبما يوحي إلي ربي) .

ولا جرم أن مثل هذا الانسان ذي الرسالة الهادية أبداً للتي هي أقوم ، أحوج ما يكون إلى مزيد من التذكير بأهمية رسالته ، والمزيد من الحفاظ عليها ، وبخاصة عندما تموج الدنيا من حوله بحبائل الضلال .

وان في هذه الآية الكريمة لضمة جليلة الأثر من تلك الأشعة العاصمة : فلينتبه إلى كل أشارة فيها . وليحرص على كل دلالة منها .

أن عليه أن يحسن أختيـــاره بيئته الاجتماعية من الكرام البرزة الذين لا يشغلهم عن ربهم شاغل ، فهم في حضور دائم معه جل وعلا . وحياتهم كلها عبادة لان كل تحركاتهم متجهة إلى مرضاته سبحانه .

وللتوكيد على أهمية هذه الصحبة لأولئك الصالحين الذاكرين يبرز له تبارك وتعالى شكل هذا الالتزام في تلك الصورة الحسنة ، التي تتجلى في توجيـــه عينيه اليهم بحيث لا تنصرف عنهم إلى سواهم ممن استهوتهم فتنة الدنيا فزاغت قـــلوبهم عن الحق ، واستولى عليهم الهوى فباتوا أسارى في قبضة الشقاء الأبدي ..

ولا ريب أن في إثار هذا الطراز الأعلى من الخلق مشقة لا يستطيعها الا أولو العزم من المصطفين الأخيار ، ولهـــذا بدأ توجيهاته البليغة سبحانه بالأمر بالصبر ، الصبر الذي لا بد منه للنهوض بكل تـكليف خص الله به المؤمنين .

تلك هي البيئة المفضلة التي يحبب الله بها عباده الذين يحبهم ، وأنما يحثهم على إيثارها لما يعلمه سبحانه من حاجة النفس الانسانية للمحيط الصالح الذي يساعدها على الفة النور فلا تنصرف عنه إلى الظلام ، وإلى استمرارية الطاعة فـــلا تؤثر فيها جواذب المعصية ..

هذه التوجيهات العليا هي الزاد الذي يجب على المؤمن العاقل ان يستكثر من الاستمـــداد منه . ليصون نفسه من الهبوط ،

ويحفظ قلبه من التلوث بالاوضار المفسدة لروحانيته حتى يلقي الله به سليماً كما استحفظه عليه . ولن يتاح له ذلك وبخاصة في هذه الأيام الا بأحد أمرين : العزلة عن النـاس ، وهى مخالفة للفطرة ومعرضة صاحبها للقلق والتمزق النفسي ؛ الا من رحمه الله .. أو مصاحبته القرين الصالح الذي مثل له رسول الله ﷺ « بحامل المسك .. إما أن يُحْذيك – أي يمنحك – وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ..

ولا خلاف على أن التردد على مجالس العـلم ، التي هي من رياض الجنة ، ومجالسة الأخيار من أهل التقوى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، أضمن الوسائل لاصلاح النفس وأنجـح الأسباب لتجمع المؤمنين والتمرس بمعاني الايمان التي بها وحدها نرتفع إلى مصاف عباد الرحمن .

والحمد لله رب العالمين وهو المستعان .

التكافل الاسلامي

لم يعد ثمة من ريب أن التكافل الاجتماعي هو القاعدة الرئيسية في بناء المجتمع الاسلامي – وليس في تعاليم هذا الدين الحكيم واحد لا يتصل بهذه القاعدة سواء في ذلك الأركان والآداب وسائر ألوان السلوك . والتالي لكتاب الله حق تلاوته يواجه هذه الحقيقة بثبوتة في مختلف سوره ، وكذلك الأمر في سنة رسول الله ﷺ ، وكلها تبيين أو تفصيل لحقائق القرآن العظيم .

ولعل من أكثر النصوص القرآنية دوراناً على السنة المومنين بعد فاتحة الكتاب قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ومرد ذلك إلى أن في هذا التعريف الجامع لخصائص الأمة المحمدية تحديداً لوظيفتها الكبرى في داخل المجتمع الاسلامي أولاً ، ثم في نطاق المجتمع العالمي ثانياً .

ذلك أن خيرية هذه الأمة أنما تنبع من هذه الوظيفة القائمة

على الأمر والنهي والايمان .

ولننعم الفكر الآن في مدلول هذه الألفاظ الثلاثة لنرى كيف تتحدد مهمة الأمة في ضوئها أتم تحديد وأول ما نلاحظه هنا تقديم ما حقه التأخير إذ أن الايمان هو الأصل بالنسبة الى فرعية اللذين هما الأمر والنهي ،وذلك لأن كل ما في الاسلام من أحكام وآداب يفرض لهما مفهوماً خاصاً يفارق مفهومات الناس كلهم لمعنيهما .

فالأمر في المفهوم العام لا يخرج عن كونه الزاماً من ذي سلطان بعمل ما أيا كان سواء في نطاق الخير أو الشر، الصواب أو الخطأ ، الظلم أو العدل .. وكذلك الشأن بالنسبة إلى النهي، فهو الزامٌ بالكف عن أي شيء دون تحديد لقيمتة من حيث النفع والضر وموافقته أو مخالفته لمصلحة الانسان فرداً ومجتمعاً.

اما الأمر والنهي الواردان في الآية الكريمة فيتحدد مدلولهما على ضوء المقاصد العامة لكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وبذلك ينحصر الأمر في أطار الحق والخير دون غيرهما ، وعلى هذه القاعدة يكون المقصود بالنهي كل منكر من العمل قولا أو فعلا وبهذا وذلك يتميز المصطلح الاسلامي الخاص هنا عن المعنى اللغوي العام لكلا اللفظين .

يبقى أن نتساءل عن الحكمة في تأخير ذكر الايمان عن موضعه من حيث ترتيب الألفاظ الثلاثة ، مع أنه الاصل المعين

لمدلول فرعيه .. وهي حكمة لا يخطئها متذوق لبلاغة النظم القرآني إذ يدرك أن في تقديم الأمر والنهي على الايمان اشادة بأهميتهما في الدلالة عليه ، ومثل ذلك أن ترى الثمرة فتستدل بها على وجود شجرتها بصورة لا يغني عنها منظرها وحدها ، لأن مجرد وجود الشجرة لا يلزم منه وجود الثمرة على وجه القطع .

ونمضي بعد هذا مرحلة أخرى لرصد ما تحمله الكلمتان — الأمر والنهي — من معانٍ أخرى — وثيقة الصلة بالدلالة اللغوية التي أسلفناها . فالأمر والنهي ينبغي أن يصدرا عن ذي سلطان ملزم في الأصل . وهذا يقتضي أن يكون للأمة المسلمة وزناً عالمي يحققه لأمرها ونهيها الفاعلية التي تملك حق الضر والنفع والأذن والمنع ، وهو مقام لا يطمع اليه الضعفاء المتخلفون الذين لا يعلمون ما يعملون ولا يملكون تنفيذ ما يريدون ..

ولكن .. هل نتصور أن الله يكلف فرداً أو جماعة فوق طاقتهم !.. ففيم إذن يكلف هذه الامة ما لا تملك القدرة عليه من تأثير في حياة الجماعات البشرية وهي التي فقدت القدرة على صيانة كيانها من مؤثرات هذه الجماعـــات .. الواقع الذي لا ينبغي أن يغرب عن أذهاننا حين نتحدث عن الاسلام هو أنه نظام كامل لا تنفصل فيه العبـــادة عن المعاملة ولا المعاملة عن الاخلاق ولا يصح النظر الى جانب منه في معزلٍ عن الآخر ،

فإذا أيقنا ذلك سهل علينـــا أن ندرك أن الأمة التي تتخذ من الاسلام منهجاً لحياتها لن يخلص اليها الضعف في أي جزء من وجودها أبداً ، لأن كل مقرر في المنهج دافع الى القوة التي لا يتم بدونها أمر ولا نهي ولا قيمة ..

وعلى هذا فالجماعة التي تستحق الوصف بأنهـــا خير أمة أخرجت للنـــاس لا بد أن تكون في الذروة من القوة التي تستدعي تقدير الجماعات واحترامها .

قد يعتري هذه الأمة من أحداث الحياة ما تنوء به الكواهل ولكن شيئاً من ذلك لن يفت بعضدها أو يدفعهـا الى قبول الهوان ، وهي تقرأ في كتاب ربهـــا مثل هذا التوجيه الحكيم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون أن كنتم مؤمنين) (ولا تهنوا وتدعوا الى السلم والله معكم ولن يشركم أعمالكم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) إن عليها فقط أن َتدّرع الايمان بمولاها وأن تعطي هذا الايمان حقه من العمل بالجوارح كما علمها ، وما وراء ذلك فهو من شأن ذلك الرب القاهر فوق عباده وقد وعد بالنصر من نصره ، وأعلن على مسمع من السماء والأرض أنه (لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا) .

ولسنا في حاجة الى التذكير وفائه سبحانه لهذه الامة ما وعدها من العزة والنصر يوم حققت شروطها من الطـــاعة والاعداد واضطلاع بمهام الرسالة الخالدة ، وفي مقدمتها ذلك

التكافل الاجتماعي الذي يجعل من كل فرد في هذه الأمـة لبنة سليمة في بنيانها المتكامل . ومعلوم أن تهـاون الخَلْفِ بهذه الشروط هو الذي سلب أمتنا القوة ، ثم أفقدها المكانة العالمية ، وفي ظل الواقع الكئيب لا مندوحة للمفكر المسلم عن التطلع الجاد الى الوسائل التي تمكن أمته من استرداد مركزها المسلوب ، وسيجد أن أقرب السبل للانفراج المنشود أنما يمكن في العودة الى الاصل الذي منه انطلقت مسيرة السلف الى رحـاب العزة والكرامة وسيرى إذ ذاك أن التزام الامة مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العمدة في كل تحرك يراد به استعادة ذلك الخير .

أن صلاح الفرد في كل أمة هو منطلقهـا الاول لبناء القوة الكبرى ولا سبيل اليه في الوسط الاسلامي الا بتحقيق قانونه الاساسي الذي به استحقت هذه الامة صفة الخيرية والافضلية فبتحقيقه ينتشر الأمن والتواد بين الافراد والجماعات، وبإلغائه تتهدم السدود الواقية ثم لا تلبث سيول المحن والفتن أن تجرف المجتمع بأسره ، وحسبنا شهيداً على ذلك قول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) .

وإن في هذا القرار النبوي لتوكيداً جازماً بأن أهول ما

يعانيه مسلمو اليوم من مأس عائد الى اهمالهم ذلك المبدأ العاصم من الشقاء والهوان ، وأن العودة اليه وإحسان تطبيقه في حكمة وعلم أفضل ضمان لعودة الكرامة والاطمئنان .

أن غياب الأمر بالمعروف عن ساحة المجتمع الاسلامي مدعاة لفشوّ المنكر، وكفى بهذا نذيرا بزوال الآمال وفساد الاحوال.

فاللهم بصر المسلمين بهذه الحقيقة وردهم اليها برحمتك ومنّك ليعودوا كما أحببت لهم خير أمة أخرجت للناس .

الانسان المغرور

الانسان هذا المخلوق العجيب المنتصب القامة ، ذو الراحة الملساء ، والابهام الصالـــح لصنـع المدنيات .. سيظل ذالك الطِلّسمَ المجهول،مهما بذل في محاولة اكتشاف أبعاده ،والوقوف على مركباته النفسية من جهود تستغرق عمر الحياة .

لو جمعنا الصحف التي سودها هذا الانسان في تعريف ذاته ، منذ دخل مرحلة التأليف والكتابة حتى الساعة،لسدت مذاهب الآفاق بأحجامها ، ولزادت بلبلة البشر ، بما انطوت عليه من التناقضات والمفارقات .. ومع ذلك فكل منها يحمل الدعوى التي لا تخمد بأن فيه الحل المنشود لذلك اللغز المرصود ! ..

والواقع أن غرور الانسان ، وعناده في توكيد هذا الغرور هما اللذان طمسا طريقه إلى الحقيقة ، التي لا استقرار له في غير ظلها ..

هناك قصة كتبها أحد وثني اليونان منذ آلاف السنين ،

عنون لها باسم (سارق النار) وهي أنموذج متكامل لذلك الغرور الانساني الذي لا تزال نواجهه في كل زمان ومكان .

فسيزيف ، وهو بطل القصة الوثنية هذه ، يحاول سرقة أسرار المعرفة من جبل الآلهة ، التي اخترعها لهم الشيطان ، وفي سبيل ذلك يعاني أفجع ضروب العذاب ، اذ يضطر لنقل صخرة إلى القمة لتحقيق مأربه ، فما يزال يصعد بها وتهوى به إلى غير نهاية !..

والمعجبون بهذا التخيل الوثني من ضحايا الغرور ، يتمثلون بسيزيف المجنون ذاك صورة الصراع القائم بنظرهم ما بين الانسان والطبيعة ، تضن عليه بأسرارها ، ويصر هو على انتزاعها بالقوة ، دون مساعدة من خارج نفسه ..

وبهذا الروح الوثني العقيم يواصل الانسان المغرور طريق أسلافه في محاولة فهم النفس البشرية، وقسرها على قبول مختلف التجارب ، التي يمارسها كل يوم ، ومن هنا تدفقت جيوش الظلام على مواطن البشر ، تكتسح أمنها وتشحنها بالذعر والرعب ، الذي لا تعرف سبيلاً للخلاص منه ..

وما أحكم تصوير القرآن العظيم لهذا الواقع الرهيب الذي جره الانسان على نفسه بيديه : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ٣٠ – ٤١) .

انه لطوفان الشقاء الذي نحسه يجرف الجنس البشري في كل جزء من هذه الأرض .. قد فَجّره على وجوده بتحطيمه السدود التي أمره خالقه بالحفاظ عليها وحراستها . فأبى الا أن يتحداها بتعدى حدوده (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وعليه ان يتحمل تبعة تصرفه بتجرع ما سعى اليه بملء ارادته .. وهي عقوبة عادلة جديرة بأن تهز ضميره فيعاود ما عاداه من أمر الله ، فيصلح شأنه مع ربه . ولكن ما أقل هؤلاء الذين ينتفعون بتجاربهم ، ويرجعون إلى الحق تائبين نادمين ! ..

أجل .: ان كل ما يعانيه الانسان من بلبلة لا حدود لها ، وبخاصة في جاهلية القرن العشرين ، انما مرده الى اعراضه عن هداية الله في معالجة أخطائه المتكررة أبداً ، وركوبه رأسه في التعامل مع نفسه .. وقد ضاعف من غروره ما حققه من نجاح في علوم المادة ، فتوهم كل بيضاء شحمة ، وراح يقيس النفس على المعادن والاتربة ، وقد رأى هذه تطوع له فيهدمها ساعة يشاء، ويبني منها ما شاء كما يشاء .. فأقبل على نفسه يجري عليها التجارب عينها ، وفي ظنه أنه سيجد لديها الاستجابة ذاتها ، فاذا ما أخفق في واحدة عمد إلى أخرى ، ثم لا يقبل أن يتعظ باخفاق قط ! .

لقد أوغل في هذه المهامة حتى لم يدع وهماً خطر في باله الا حاول أن يؤلف منه نظاماً للسيطرة على طاقات الانسان .

وهكذا تراكمت نظمه المخفقة يضرب بعضها بعضاً ، دون أن يستخلص من أيها العبرة التي ترده إلى الجادة .

يقول ديكارت الفيلسوف الفرنسي : (لقد خدع أرسطو العقل البشري ألفي سنة بفلسفته الباطلة) ولو تأخر به الزمن قليلاً لسمع من يقول في فلسفته أسوأ مما قال هو في أرسطو ..

وهكذا تستمر مسيرة الخطائين من هذا السرب المغرور وراء السراب ،وكلما وقف منهم واحد على قدميه جعل يسخر بسابقه ويسفه أحلامه .

على هذه الاسس المهزوزة من التخرصات أقامـــوا جميعهم بيان فلسفتهم في تفسير الكون والحياة والناس ، فلم يقدموا للأحياء شعلة واحدة من النور الصادق .

تكلموا في أصـــل الكون فجاءوا بالخرافات المضحكة ، وتحدثوا عن ماهية العقـــل فهذروا بألوان السخف ، حتى لم يتورعوا عن الزعم بأن التفكير نفسه لا يعدو أن يكون ضرباً من العصارات التي تفرزها بعض الأجهزة الحيوية، كما تفرز الكبد الصفراء .. وثرثروا في موضوع المرأة،فأبوا الاعتراف بخصائصها المميزة ، وقرروا إلغاء أنوثتها وحاجة المجتمع الانساني إلى هذه الانوثة .. وهكذا فعلوا في الرجل والطفل والغرائز والمواهب، ثم انتهوا من ذلك العبث إلى الهزء بفضائل الاخـــلاق ، اذ اعتبروها عائقاً دون حرية التصرف ! .

هذا التخبط الضرير أوشك أن يقضي على كل أمل في نجاة

الانسان ، لانه طمس في نظره كل المعالم الهادية، فلا يكاد يدري أين يضع قدمه .. ولو انه استطاع استفتاء فطرته والانتفاع بخبراته ، لعلم علم اليقين أن النفس التي يحاول اخضاعها لأهوائه، أبعد غوراً وأكثر تعقيداً من أن يتحكم في تحويلها عن طباعها الاصيلة ، كما يصنع بالمادة التي سُخرت لإمكاناته .

ان هذا الانسان ليعجز عن معالجة جسده اذا اعتراه بعض الاسقام ، فيستدعي له الطبيب الحاذق الذي يثق به ، على حين قد يكون هو في القمة من علم الطب..فكيف به يتجرأ فيقدم على معالجة روحه وهو لا يعلم عن حقيقتها كثيراً ولا قليلا !.. وكيف به يزعم القدرة على التشريع لبني جنسه ، وهو القاصر عن الاحاطة بأحداث يومه وأمسه ، فضلا عن الاحاطة بغيّبات الغد ! .

ان الله سبحانه الذي كون هذه النفس العجيبة ، وأودعها من أسراره ما أودعها ، هو وحده المحيط بخصائصها العليم بما يضرها وما ينفعها .. فهو صاحب الحق المطلق في تكييفها ، وفي يده وحده القدرة على هدايتها السبيل الأقوم .. فكل محاولة بشرية لتحويلها عن هذا الخط المضيء جناية على أمنها وسلامتها وكرامتها ، واغراق لها في الظلمات ..

(ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) ..

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ..

(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ..

بلى والله .. ان العلمَ الحقّ لعِلـْمُ الله ، فذلك هو العلم الذي لا يعتريه الوهم ولا النقصان .

وما علم الانسان على مر الدهر بأكبر من حُسوة الطائر من اليم العظيم .. وانمـا تستقيم خطى البشرية في الاتجاه الصحيح حين تستضيء بنور ربها ، فيعلـّمها ما لم تكن تعلم (ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه) .. ومتى هُدِيَ القلب انتظم عمل الجوارح ، فكان التوفيق وكانت السعادة .

والحمد لله الذي هدانا لهذه السعادة ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

حضارتنا وحضارتهم

للحضارة قصة كتب عنها الكثيرون في الشرق والغرب ، وقليل الذين هدوا في شأنها إلى كلمة الفصل .

واذا حق لنا أن نتخير من تعريفاتها ما يطمئن اليه القلب والعقل قلنا ان الحضارة هي جماع ما توصل اليه الانسان من اخلاق وخبرات وثقافات ، فساعد على تحقيق مهمة الانسان الفضلى في اقامة المجتمع الصالح . وبهذا التعريف تكون المصنّعات المادية جزءاً من حضارة الانسان ، ويكون اعتبار هذه المصنعات هي الحضارة كلها حكماً مرتجلا لا قبول له عند أولي البصائر والنظر البعيد .

وفي ضوء هذا التحديد المنطقي لمضمون الحضارة ننظر إلى ما يطلقون عليه اسم الحضارات البشرية على مر التاريخ فلا نكاد نقع على الحضارة المثلى التي ينطبق عليها التعريف المختار . ذلك لان كل واحدة من هذه المسميات تخالفه في مضمونها ،وان تفاوتت مساحة هذا التفاوت بين واحدة وأخرى .. على ان

القاسم المشترك بينها جميعاً هو افتقارها إلى توافر العنصر الذي يقدّر الانسان فيعتبر امنه و كرامته هما هدف الحضارة الأعلى .

لقد لبث الانسان في ظل هذه المجتمعات البشرية محروماً كل حقوقه الأساسية . فليس له من حق الحياة الا بمقدار ما يملك من سلطان القوة ، فاذا فقدها أو غفل عنها فقد حقه في الحياة بالاغتيال والاسترقاق، وليس له حق في الكرامة الا اذا استطاع فرضه على الآخرين بحق القوة نفسها .. وقد حرمته بعض المجتمعات حق التدين ، فليس له ان يفارق تقاليدها ولو كانت ظلمات بعضها فوق بعض ، وفي مجتمعات أخرى حرم عليه حق العلم ، فليس له اليه من سبيل ، الا عن طريق المسيطرين من الطواغيت، يلقنونه منه ما يرونه مساعداً على استبقاء تسلطهم وطغيانهم ..

ومع كل هذا فهي مجتمعات متحضرة في عرف المؤرخين ، الذين أسقطوا العنصر الانساني في حسابهم عند الكتابة عن هذه المجتمعات ..

والعجيب في أمر هؤلاء المؤرخين انهم ، مع شديد عنايتهم بهاتيك التركيبات الجاهلية ، ومع اهتمامهم بكل صغيرة و كبيرة من فنونها وحروبها وعمرانها المادي ، لم يعيروا أي التفات تلك الجوانب المضيئة من تاريخ الانسان ، التي تتمثل في عهود الحكام

المثاليين من النبيين والسالكين في سبيلهم في تصحيح المسيرة البشرية .. واذا عرضوا لها فبإلمامة لا تنقح غلا ، ولا تكشف جهلاً . ولو انهم أدركوا المجهول من قيمة الانسان ، وتبينوا علاقته بموضوع الحضارة وحقه عليها ، اذن لصرفوا كل عنايتهم إلى هذا الجانب ، ولما سمحوا لانفسهم باطلاق اسم الحضارة على غير تلك الأيام السعيدة ، التي أظلتها عهود أولئك الراشدين .

أجل .. ان البشرية ، على امتداد رحلتها التاريخية ، لم تتذوق طعم الحضارة الصحيحة ، الا في كنف يوسف وداود وسليمان وذا القرنين ،واخوانهم من المصطفين الذين كانت اعمالهم في الحكم مطالع النور في أسداف الظلمات ، قدموا بها النماذج الربانية للقيادة الصالحة التي يحبها الله لعباده ، ثم توّجها سبحانه بالحضارة المتكاملة التي أرسى قواعدها على يد خاتم النبيين ﷺ ، وتتالى على تعهدها بعده وتنميتها تلامذته الراشدون والتابعون لهم بإحسان ..

انها الحضارة التي وازنت بين الروح والجسد ، فلم تسمح لاحدهما بالتضخم على حساب الآخر ، وتآخت في ظلها الاجناس ، فلا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى . واستقامت على جادة العدالة المطلقة ، حتى لتسوي في مجلس القضاء بين أمير المومنين وأضعف المساكين . واستحال فيها الحكم خدمة للعامة خالصة لوجة الله ، بعد أن

كانت، في ظل المجتمعات الأخرى ايغالا في التأله عليهم والاذلال لجميعهم . حتى ليقف أمير المؤمنين في جموع الحجيج من المسلمين يعلنهم على رؤوس الاشهاد من عماله ولامرائه قائلا : أيها الناس اني أبعث عمالي اليكم ليعلموكم دينكم ، لا ليضربوا أبشاركم ، فمن ضربه عامل لي فليعلمني حتى أقتص له منه) . ويلتفت إلى أمرائه محذراً : (ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم) .

تلك هي حضارتنا الربانية : اخاء وعدالة وأمن علم ..ولا غرابة . انها حضارة الاسلام .. والاسلام هو الحضارة ، وكل تركيب اجتماعي بعده فجاهلية وطاغوت ..

بالأمس وقف أسقف مدريد يؤبن حاكم اسبانية العسكري الراحل ، فكان من ذلك قوله : « لقد قام الجنرال فرانكو باعمال عظيمه ، للدفاع عن الحضارة المسيحية » وقبله اعلن تشرشل رئيس وزراء بريطانية في الحربين العالميتين مثل ذلك حين قال : اننا نقاتل من أجل استمرار الحضارة المسيحية) . وفي أميركة نادي ايزنهاور بمثل ما ادعاه الرجلان ، وهكذا يتلاقى كبار الغرب على هذه القولة ، وكلهم يرفع عقيرته بالحفاظ على الحضارة المسيحية) .

والحق انها لزعمة غريبة لا ظل لها من المنطق ، لان حضارة الغرب لا تكاد تمت إلى المسيح (ع) بأي صله .

انها تركيبة متداخلة من اليهودية العرقية ، والميكافيلية الخارجة على القيم ، والوثنية اليونانية والرومانية المفرقة في الأساطير ، والمسرفة في عبادة الشهوات، ثم من الحرية الجنسية التي سجلت أقصى انحدارها في الانهيارات الأخلاقية التي تكتسح الغرب كله في هذه الأيام ..

بلى .. انها لحضارة ينكرها المسيح عليه السلام لانها تقر كل منكر يرفضه ، وتكاد ترفض كل معروف يدعو اليه .

ان حضارة المسيح ليست سوى الحضارة التي تعاون على بنائها النبيون جميعاً ، وقد بلغت مستواها الأعلى على يدي محمد ﷺ وصحابته الأفضلين والتابعين لهم باحسان .. وكل محاولة لدفع المسلمين إلى الايغال في هذه التركيبة الجاهلية ، انما هي انحراف بهم عن رسالتهم ، التي أكبر مهامها اليوم انقاذ البشرية التائهة من مفاسد هذا التيار الذي يريد أن يأتي على البقية من أمن الانسانية .

لقد أدرك هذا الواقع الرهيب كثيرون من مفكري الغرب نفسه ، الذي يزعم كباره الانتصار لحضارة المسيح ، ولم يألوا جهداً في الكشف عن الغامها التي توشك ان تنسف الأرض وما عليها..وما أروع في هذا الصدد كلمة الكسيس كاريل فيوصفها وبيان أخطائها حين يقول في كتابه (الانسان ذلك المجهول)

(انها حضارة مدمرة زائفة لا تقيم ورناً لمصلحة الانسان .ومع ذلك يأبى دهاقين هذه التركيبة المدمرة وكهنتها الا فرضها على عالم المسلمين بكل وسائل الاغراء ليجهزوا بسمومها على بقية الحضارة الربانية التي لا خلاص للبشرية الا عن طريقها .

في بعض القصص الرمزية أن طاغية من الحكام قد سمع ذات يوم بلبلاً يغرد في حديقته، فأصر على احضاره وضمه الى تحف قصره . وبعد لاي أمكن لمماليكه أن يقبضوا على المسكين ، وأدخلوه مخدعه الذهبي الذي أعده له الطاغية . ولكن البلبل لم يجد سبيلاً للاعراب عن تظلمه الا بالاضراب عن الغناء ، فلاذ بالصمت على الرغم من كل الجهود التي بذلت لاقناعه بمعاودة إنشاده .

واستدعى الطاغية خبراء الموسيقى يستفتيهم في شأنه ، فأجمعوا على ان خير وسيلة هي تلقينه اصول الفن وجاؤوا بالنوطات ، وجعلوا يحشون بها فم الطائر الصامت حتى خنقته فأراحته ..

وهكذا ما يريد كهنة الغرب – وزملاؤهم الشرقيون – أن يعالجوا به اليوم أجيال المسلمين .

انهم يحاولون تشكيكهم في صلاحية دينهم ، ليصرفوا أبصارهم عن فضائله وانواره ، فاذا ما نجحوا في غسل قلوبهم

وأدمغتهم من آثار الاسلام العاصمة ، عمدوا الى تجريعهم مـــا هيئوا لهم من سموم .

ولكن خسىء هؤلاء الأغبياء .. ان الاسلام ليس بالبلبل الذي يمكن خنقه باوراق النوطات ..

انه نور الله . ولا طاقة للظلام بالقضاء على النور ..

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم .. والله متم نوره ولو كره الـكافرون) .

لغة القرآن

في أحد المؤتمرات العاليه ، وكان البحث منصباً على موضوع اللغة العربية وحقها من اهتمام المسؤولين في ميـــدان التعليم والتأليف ، تفضل أحد الاعضاء بملاحظات على جانب غير يسير من الخطورة . لقد كان كالذي يتربص الفرصة المناسبة لعرض ما تعب كثيراً في كتمانه ، فما ان وجدها حتى انطلق في الافضاء به في حرارة وحماسة .

لقد بذل صاحبنا المستحيل في محاولة اقناع المؤتمرين بأن العربية لا تعدو أن تكون لغة الكلام الفارغ الذي يقوم على التلاعب بالالفاظ . ودليله على ذلك أن قارىء النص العربي لا يكاد يخرج من حلاه اللفظية بأي مردود فكري ، وانما هي محسنات ومرادفات وو ... ثم لم يفته ان يقابل ذلك اللغو — في نظره — بجدية الانجليزية ، التي تقوم على تحديد المدلول بدقة لا تدع مجالاً لغموض ...

وسرعان ما آتت هذه الملاحظات ثمرتها فاذا هناك أكثر من مؤيد لهذا الاتجـــاه ، وكأن من رأي أحدهم أن العربية – في وضعها الراهن – لغة متخلفة لا يسعها أن تسد أي فراغ في نطاق الدراسات العلمية ، لذلك يقترح مضاعفة العناية بالانجليزية بحيث يبدأ التلميذ ممارستها من أوائل المرحلة الابتدائية ، لتمازج نفسه وذهنه ، فلا يجد في المستقبل فجوة تفصله عنها .. وكان هذا الفاضل قد سمع أحد المنافحين عن العربية يدعو إلى اعتمادها لغة رئيسية في مختلف الـكليات العلمية .. فقال تعقيباً على ذلك: ان الطلاب الذين تخرجوا في كليات تعتمد العربية انتهوا إلى حيرة مفجعة ، اذ فاتهم القطار فـــلم يعودوا قادرين على التقدم أو التأخر ..

وتلا هذا الفاصل آخر مؤيداً وجهة نظره بأدلة من رسائل الماجيستير التي يقدمها بعض طلابه ، اذ يمهـــد أحدهم للبحث بأكـــثر من صفحات البحث ، لعجزه عن الاحاطة بالموضوع ، ولجهله بترتيب أقسامه ! .

ولم تكن هذه الحملة على العربية مستغربة من دكاترة تلقوا تعليمهم العالي في أنجلترة أو أميركة ، ذلك لان انغماسهم طوال السنين في جواء هذه اللغة ، وتمرسهم بأساليبها ومناهجهـــا الفكرية والتنظيمية ، قد ولد في نفوسهم عقدة الشعور بالنقص ، وهو

رد فعل طبيعي بالنسبة إلى شباب يواجهون هذه الأوضاع لاول مرة في حياتهم ، فلما استكملوا مدتهم على هـــذا النحو ، كان التوجيه الجديد هو الذي يسيطر على تفكيرهم وتصورهم كله ، وكان من العسير عليهم إحداث أي توفيق بينه وبين مـــا كانوا عليه من قبـل . وهكذا انتهوا إلى الشك في مقومات العربية – التي لم يزودوا منها بالقدر العاصم – وباتوا على مثل اليقين بأن كل منهج للتفكير والتعبير خارج عن نطاق ما تعلموه هناك فهو لغو بغير مردود .

ولسنا بحاجة للتوكيد بأن مـــا ذهب اليه هؤلاء السادة المتنقصون للعربية انما مرده ، علاوة على ما ذكرناه ، إلى تلك المؤثرات الخاصة ، التي عزلتهم عن معطيات لغتهم ، فظنوا بها النقص ، وبغيرها الكمال ، وهو حكم نسبي اذا اعتبر مقبولاً عند الذين أحاط بهم مثل ظروفهم ، فسيظل مرفوضاً عند غيرهم ممن أتيح لهم التذوق السليم للبيان العربي القويم .

ونحن نذكّر هنا كلا من هؤلاء السادة وأمثالهم ، ممن يحملون على العربية ، وينكرون عليها قدرتها المجربة .. نذكرهم أولاً بأن اللغة – كل لغة – انما هي مرآة شخصية الأمة الناطقة بها . فكل تخلف أو تقدم في حيويّتها انما هو انعكاس لواقع الأمة نفسها ، ثم تتباين الخصائص بين كل لغة وأخرى ، فأقدرها على الاستجابة إلى حاجة الامة أغناها بالاصول المرنة القابلة للتشقيق

والتفريع . وقد أثبتت العربية انها القمة في هذا المضمار ،فليس ثمة من خاطرة ولا خالجة ولا متخيلة ، الا وفي هذه اللغه مـا يتسع للاشارة اليها في تحديد لا يبلغه أي لسان آخر . وحسبها شرفاً أنها اتسعت لرسالة الله فلم تضق بأي حرف منهـا ، وتجاوبت مع المعاني النبوية ، فلم تتهم بأي عجز في أدائها .. ثم انداحت حضارة الاسلام واستبحرت حتى هضمت كل ثقافات الامم السابقة ، فما وهنت ولا استكانت ولا حصرت ، بل بهر بجمالها كل ذي عقل وذوق من عباقرة تلـك الأمم ، فأقبلوا يعبون من سحرها حتى نسوا لغتهم أو كادوا ... فاذا لوحظ عليها اليوم أي تأخر وفقر في مجال التعبير عن فنون أو علوم تنجم في غير أرضها فما إثمها في ذلك ، وأبناؤها المقصرون ، ويتهموها هم المذنبون !.

هل دري هؤلاء الفضلاء أن العبرية هي اليوم لغة الطب والعلم في اسرائيل ؟ .. وما العبرية وما شأنها والعلم والطب ، وهي المعزولة عن مسيرة الحياة العالمية منذ ألفي سنة !.ولكنها ارادة اليهودي الذي آمن بأثر لغته في ضمان البقاء لجنسه ؛فأقبل عليها يحوطها ويكرمها ويتعهدها بكل ما يمكنها من البقاء والاستمرار أفكانت العبرية هذه بنظركم أقدر على الحياة وأحق بها من العربية ،التي ما اعتزلت الحياة قط منذ أن شرفها الله بكلامه !.

ثم .. متى كان جمال البيان في لغة مـا سببا في التنقص من قيمتها ؟ ..

ان من مميزات العربية قدرتها العجيبة على معالجة أي بحث بما يلائمه من الأساليب . فللخاطرة الوجدانية قالبهـا المتموج بالصور الموحية ، ولو هي سكبت في القالب العلمي لجاءت باهتة باردة لا تلامس القلب . وللفكرة الموضوعية تعابيرها الصادقة التي لا تقبل التموج ؛ لان صلتها بالعقل دون العواطف .. ولو أن الدكتور ، العائب على العربية زينتها اللفظية والمعنوية ، تذكر الكتب التي قرأها قبل هجرته إلى انجلترة في التوحيد والتفسير والفقه والحديث ، لعلم يقينـاً أن لدى العربية من الامكانات ما يقدرها على اعطاء أدق التعابير العلمية والموضوعية دون استعانة بالاخيلة والتحاسين . ولكن الظاهر أن سيادته قد نسي في غمرة الأعجاب بلغة التايمس كل محاسن لغة القرآن .. أو أن عهده بالعربية الأصيلة قد بعد ، فلم يعد يعرف عنهـا الا ما يكتبه بعض المتعالمين أو المتشاعرين ممن يُدعون – ظلماً – أدباء أو مفكرين .

وشيء آخر .. لقـد كان مرتكز الدكتور في هجمته على على العربية هو توهمه فقرها فكرياً واكتفاءها بالغنى اللفظي ، في مقابل غنى الانجليزية علمياً ، ولو هو أنعم الفكر لادرك أن لغة التايمس ليست فقط هذا الأسلوب الموضوعي المركز ، بل

لها أيضاً أساليبها الأخرى التي يطرب لهـــا الانجليز في شعر شكسبير وبايرون وغيرهما .. كشأن الفرنسية التي لا تأخـــذ الموضوعية من أساليبها الا الجانب الأقل، ويبقى سائرها ملتزماً طرائق الوجدانيين الذين لا يفصلون بـــين الفكرة والصورة . ولولا هذا التنوع في أساليب البيان الغربي لما عرف الناس فرقاً ما بين الكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والبرناسية ..وما اليهن من مذاهب الأدب ..

ان الدعوة إلى الاقتصار على الأسلوب الموضوعي تتضمن في الوقت نفسه الدعوة إلى تفريغ النفس من كل خصائصها الوجدانية، حتى لا تتصل بغير الجانب المادي من الحياة ، وحصيلة ذلك هو سلخ الانسان مطلقاً من الحس الجمالي ، وبالنسبة إلى المسلم بخاصة تعني استلابه خاصية التذوق الروحي لبلاغة القرآن، التي تجعل للفظة المعهودة في كلام البشر متنزّلاً عجيبـاً في بيانه المعجز . ومن هنا كان التشكيك في صلاحية العربية تشكيكاً في اعجاز القرآن نفسه ، ومحاولة خطرة لفصل الذوق المسلم عن مناهل البلاغة القرآنية .

وأخيراً .. لقد آن لهؤلاء الفضلاء ، المروّجين للغات الغرب على حساب العربية ، أن يحاسبوا أنفسهم عن تجنيهم على اللسان، الذي لولا خلوده بالقرآن لما كان لهم ولا لأمتهم من مكان.

ان أي ظاهرة من الضعف أو القصور في لغة الضاد ، انما تقع تبعتها على أهل العلم ، ممن يتهاونون في حقها ، بإعراضهم عن التزامها في أحاديثهم وتدريسهم ، ثم على كواهل المسؤولين اذا هم قصروا في رعايتها ، فلم يقيموا لها الحراس الغُيُر ، الذين يتولون مواجهة كل مصطلح علمي جديد بالترجمة أو التعريب .

فمتى نعي هذه الحقيقة فننهض بواجبنا نحو لغة القرآن ، لنلحق بركب المحسنين من سلف هذه الأمة ، الذين رفعوا رايتها خفاقة في العالمين ؟!..

رعى المهيمن من قومي أوائلهم
بما رعوا لغة القرآن او نشروا
هم أدركوا أنها من عرضهم فسموا
بها إلى حيث يعشى دونها البصر
حتى استوت في الأعالي لا يضارعها
من الكلام بيان صاغه بشر
ثم انطوى عهدهم فاشتط خَلْفُهُمُ
عن نهجهم فاستوى الانسان والحجر
تبدلوا بلسان العز شقشقة
كالقفر جفَّ فلا ماء ولا زهر

وهكذا مزق التفريــط آصرةً
قد طالما عجزت عن مسهــا الغِيَرُ
فَلْيجبر اللهُ كسراً نال من لغــة
القرآن ما لم تنل ارزاؤها الأخَر
ولتستعدْ ذلك السحر الذي طَفِئت
أنوارهُ مذعراً أبناءهــا الحَصَر
كي تستردَّ بها الأيامُ بهجتهــا
التي بهــا كانت الأيام تفتخر

هذه سبيلي

في حلقة سابقة عرضنا لغرور الانسان في محاولاته التسلط على الفطرة التي فطِر الناسُ عليها ، ونتائج هذه المحاولات العقيمة في المضاعفات التي جرّت الشقاء على الجنس البشري .. ونتابع الموضوع لايضاح بعض النقاط التي ضاق عنها حديث الأمس .

لقد لاحظنا ركام الأخطاء التي تكدست في طريق الانسانية اثناء المغامرات التي ارتدت مسوح الفلسفة ، فراحت تفسر الكون والحياة والنفس على مناهج مرتجلة لا تستند إلى دليل حاسم ، وانما هي محض ظنون واوهام يفترضها أحدهم ، ثم يمضي في البناء عليها حتى ينتهي إلى الايمان بما يختلق ، ولا يكتفي بذلك في حدود نفسه ، بل ينطلق للدعوة اليه كأنه الحق الذي يساوره الباطل ! .

هكذا صنع افلاطون في تصوره أصل الحياة ، وفي بحثه الطويل عن النظام الأمثل للحياة البشرية، في كتابه (الجمهورية). وعلى هذا جرى فلاسفة المسلمين في متابعتهم للاغريقيين حول

موضوع الافلاك وتنظيماتها وآثارها في الحياة ، وما الى ذلك من شؤون الغيب ، التي لا يحيط بها الا الذي أبدعها سبحانه .. وهكذا صنع دارون في فرضياتة عن أصل الانواع، والانتخاب الطبيعي ، وتطور الأعضاء . ونحو ذلك من التصورات النظرية، التي مـــا لبثت ان استحالت عند المخدوعين ضرباً من الحقائق القانونية التي لا تقبل نقاشاً .. ومثل هذا ما افتراه سيجموند فرويد على النفس الانسانيـة من اتهامات جردتها – لو صحت – عن كل فضيلة أكرم بها الله الجنس الآدمي .. وتبعه في هـــذا المضمار جانبول سارتر الذي انتهى بهذه الانحرافات إلى غايتها المقصودة ، وهي تفريـغ النفس البشرية من كل أمل بالتسامي ، اللائق بالمخلوق المختار ، الذي أعده بارئه لأكرم المنازل وأرفع الدرجات .. ولم تنته بعد هذه الترهات ، فالساحة – ساحة الغرور والادعاء – لا تزال مشحونة بحشود المغامرين ، الذين يريدون تجربة مواهبهم في اختراع المزيـد من هذه المضلات المتخاصمة المتهافتة معاً .

ان هذه الفوضى من النظريات الناشئة عن محض الظنون ، ما كان لها أن تبلغ ما بلغت من العدوان على طمأنينة الانسان ، لو انها ظلت في حدود البحث ، فلم تتجاوزه إلى محاولة اخضاع البشرية لنتائجها الفكرية والاجتماعية جميعاً ..

لقد نشأ عن كل واحدٍ من هاتيك الاتجاهات الظنية نوع من

النظريات ، التي تريد تثبيت ذاتها في نطاق التطبيق العملي على حيوات الجماعات ، فاذا هناك عشرات النُّظُم المتنافسة ،واذا لكل نظام حشود تصفق له وتزعم تفوقه ، وتعمل لتغليب سلطانه على كل نظام مخالف ، ولو أدى ذلك إلى اغراق الأرض في بحر من دماء الأبرياء . وتلك هي النتيجة المنطقية لتلك المقدمات المرتجلة ، اذا كانت أشبه بالانطلاق من نقطة الخطأ في المعادلة الرياضية ، فكل خطوة تليه تدفع إلى خطأ أبعد ، حتى تكون الحصيلة ركاماً من الأخطاء ..

وقد عرض الله لاعيننا نماذج من هؤلاء المضللين في كتابه الخالد ، لنتخذ منهم العبرة التي تقينا مزالق الفتن .

لقد اخترع الشيطان لبعضهم آلهة ، واختلق لها قصصاً وأساطير ، وصنف لها شرائع واحكاماً ، فاستسلموا له ، ولم يجدوا في عقولهم ما يدفع هذه المفتريات ، وهي التي لا ظل لها من الواقع البتة (ان هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان .. ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ٥٣ – ٢٣) .

انها لأوهام وأهواء ، ومع ذلك فهم يستجيبون لها ، ومؤثرينها على هدى الله ! .. ولا غرو فمن أنكر لقاء الله سهل عليه أن يجري وراء كل ناعق ، ويقيم حياته كلها على الرجم والتخمين ، وارسال الاحكام جزافاً على كل مغيَّب ، دون سند

من دليل ولا آثارة من علم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسَمّون الملائكة تسمية الأنثى . وما لهم بذلك من علم . ان يتبعون الا الظن. وان الظن لا يغني من الحق شيئاً ٥٣-٢٧/٢٨).

أجل .. انهم في عمياء من الظنون .. وما كان لظن مرجوج أن يقف في مواجهة الحق . وانما جراهم على ذلك إقفار قلوبهم من ذكر الله ، وتركيز أهدافهم في مغريات الدنيا من سمعة مزورة ، او تسلط طاغ ، أو منفعة عابرة ، ومثل هؤلاء لا فائدة من حوارهم (فأعرضْ عمن تولى عن ذكرنا ولم يُرد الا الحياة الدنيا ٥٣ - ٢٩) .

والجهل داء .. وأدوى منه أن يستريح اليه صاحبه فلا يفكر بمعالجته . حتى لتنقلب الأوضاع في عينيه ، فلا يميز بين هدى وضلال ، وهذا أقصى ما ينحدر اليه انسان في مراتب المخلوقات ..

ولو أن الباعث لهؤلاء في مجازفاتهم تلك تطلّبُ الحق لوجه الحق لوجدوا السبيل اليه على غاية من اليسر ، اذ من بديهيات الامور أن يطلب الشيء من مصدره ، والغيب من أسرار الله التي لا سبيل إلى معرفتها الا بالوحي المعصوم ، فما كشفة منها للانسان فهو الممكن ، وما حجبه عنه فذلك الميئوس منه ، فلا مطمع به عن طريق الحدس ولا عن طريق البحث ، وكل جهد في تقَصّيه فضيعة لا مردود لها سوى الحيرة والضلال .. ولا مسوغ لها غير الاستكبار والعناد .

ولقد كان لهم عبرة في إبليس اذ أمره الله سبحانه بالمشاركة في تكريم آدم عليه السلام ، فصرفه الكبر عن الطاعة حتى فسق وطرد من رحمـــة ربه ، ثم أعلن في اصرار انه لن يتورع عن استعمال كل حيلة للانتقام من هذا الانسان الذي بسببه انتهى إلى هذا المصير . ولكنهم بدلاً من ان ينتفعوا بقصة هذا المغرور الاول ، فيقابلوا تصميمه على كراهيتهم بتصميمهم على مكافحته، أبو الا الانضواء تحت رايته ، والدأب في مساعدته على تحقيق بغيته : فراحوا يجتذبون له الاعوان من إخوانهم ،الذين أحسنوا بهم الظن ، فكافئوهم على ذلك بهذه التحرضات يشوهون بهـــا فِطـَرهم ، ويفسدون عليهم حياتهم ، بما يزينون لهم من طرائق الزيـغ عن سبيل الله . ويندفع هؤلاء وراء أولئك على العمياء ، وكأنهم لم يقرؤوا ولم يسمعوا قول رب العزة في ابليس وجنوده : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضدا ١٨ – ٥١) .

ولا جرم ان لبعض الشعوب بعض العذر ، ولو أمام أنفسهم ، في هذا الضرب من الامعية وراء المفسدين في الأرض .. لأنهم فقدوا الدليل الالهي الذي يعصمهم من الضلال والشقاء . أما أن يتسرب هذا الوباء إلى ديار المسلمين ، فيستهوي بعض من يظن بهم القدرة على التفكر ، ممن ُغسلت أدمغتهم في محاضن الغرب ، فاستبدلوا بهدي الفطرة والنبوة لغواً من القول ، وشرائح من الطروس يسمونها شهادات ، فذلك هو المثير للأسى والعجب ،

لأن المتوقع أنهم نشئوا في مجتمع لا يزال يحتفظ ببقايا من العواصم الربانية ، فبها يعرفون عن أنفسهم ، وعن تبعاتهم ، وعن آيات ربهم ، ما لا يقف أمامه كل حشود الباطل .. ألهم لو تركوا لعقولهم سبيل المقايسة بين الحق والوهم .

على ان أولي الألباب من عباد الرحمن ، وهم لا يبرحون قائمين بحجة الله في دنيا الاسلام ولله الحمد ، هم وحدهم الذين تبينوا طريق النجاة ، فلم تغرّهم الأباطيل ، وكلما اصطخبت المحن من حولهم رددوا على مسمع الدنيا قول ربهم لنبيهم الصادق الأمين : (قل هذه سبيلي . أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . وسبحان الله وما أنا من المشركين ١٢ — ١٠٨) .

اقوى آسلحة المؤمنين
في وجوه المفترين

المعركة بين أهل الحق وأشياع الباطل قديمة، بدأت باستكبار إبليس على آدم عليه السلام واعلانه الحرب عليه وعلى ذريته، ثم مضت في سبيلها يتعهدها هذا الآبق بالالهاب كلما آنس منهـا خمودا .

لم يقتصر عدو الله في فساده على وسائل القتـل التقليدية ، يدفع اليها أعوانه ، كلما همدت من جانب أوقدها من جانب آخر ، بل استباح كل ضرب من السلاح لقهر الانسان وتشويه حياته . ولعل أرهب ما لجأ اليه من ذلك استغلاله طاقة الكلمة ، اذ وجد انه عن طريقها يستطيـع تحقيق ما تعجز عن تحقيقه كل أدوات الفتك من سيوف وقذائف وألغام . وهكذا كان له في كل جيل جنود لا يتورعون عن التذرع بأخس الوسائل لتنفيذ مخططاته الأثيمة، كيداً لكل فاضل كريم يستعصي على مغريات ذلك الرجيم .

يقول الله تبارك وتعالى تعليماً للرعيل الأول من سلف هذه الأمة : (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها ٣٢/٦٩) .

ان الآية الكريمة لا تفصل مقولات أولئك المفترين ، ولكن في اشاراتها ايماء يوحي بأن ثمة مؤامرة لئيمة أريد بها الاساءة إلى سمعة ذلك النبي الكريم ، لولا أن نصره الله على كيدهم ، فأوضح براءته لكل ذي عينين من مفتريات الكائدين ..

وتتصل أخبار الكتاب المجيد عن الأنبياء الآخرين ، وما واجهوا من أمثال هاتيك المؤامرات ، يحوكها عليهم اتباع الشيطان من خفافيش البشر ، الذين آثروا الظلمات على النور ، فلم يتورعوا أن يرموا صفوة الخلق بما يعلمون من صميم قلوبهم أنهم فيه كاذبون .

وقد حدثنا ربنا جل شأنه ببعض ما لقي من ذلك نبيه وخاتم رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، على أيدي المجرمين من المنافقين . وحسبنا من ذلك قصة الافك ، التي نسج خيوطها رأسهم ابن أُبَي ، واستطاع عن طريق التظاهر بالغيرة ، أن أن يتسلل بها إلى خواطر بعض المؤمنين ، فيحرك ألسنتهم بذكرها وتداولها ، دون أن يفكروا بما تحمله من عناصر الاختلاق وتعمد الفتنة .

ولقد تفضل الله على المؤمنين فأظهرهم على حكمته من شيوع

خبر ذلك الافك ، ليتعلموا كيف يحصّنون أنفسهم ومجتمعهم من اشباهه في ما يعرض لهم في قابل ايامهم ، فقال سبحانه : (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ٢٤/١١) .

أجل .. انه خير في عواقبه ، لانه كشف الوجوه فميز بين المنافق والمستقيم ، وبين الضعيف القابل للتضليل ، والقوي الثبت الذي لا هو بالخبّ ولا يخدعه الخب .

ويا له من خير كان السبب المباشر في نزول سورة النور ، التي حملت إلى أمة القرآن أكمل نظام بني على أسسه مجتمعهم المنزلي .

ومعلوم لدي كل ذي فطنة ان الهدف الأقصى لمشيعي قصة الافك انما هو ضرب الدعوة في صميمها ، اذ ان مجرد الشك في شخص رسولها من شأنه ان يهدم الثقة بها كلها . وصاحب الدعوة انما يمثلها في سلوكه وتصرفاته جميعاً ، فكل مطعن في شخصه مطعن في دعوته .

وتحدثنا السيرة النبوية عن السبب في نزول قوله تعالى : (ولئن سألتهم ليقولُنّ انما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته كنتم تستهزئون ٦٥/٩) فنعلم ان جماعة من المنافقين كانوا قد خرجوا في جيش العسرة يوم تبوك لمجرد الإفساد ، فجعلوا يخسرون ويهزؤون فيما بينهم بأهل العلم من صحابة رسول

الله ﷺ ، حتى ليقول الواحد منهم : (ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء) وهم موقنون في اعماق قلوبهم انالذين يلمزون هم على النقيض تماماً مما يزعمون ، لذلك ما لبثوا أن فوجئوا بالوحي يفضح أسرارهم ، ويهتك أستارهم ، ليحذر المؤمنين من أضاليلهم ، فلا يصغوا إلى ترهاتهم ، لئلا يألفوا ذلك الجو المظلم فيركنوا إلى أهله .

هذه الاراجيف التيحفظ لنا القرآن قصة أصحابها،وكشف لنا عن طواياهم الخبيثة ، ومحاولاتهم الهدامة في مواجهة الرسالة الخاتمة ، وحاملها إلى الخلق رحمة مهداة .. هذه الاراجيف لم تنته بانقراض أهلها ، بل لا تزال متصلة الحضور ، تجابه انصار الحق بكل منكر من القول . ولئن كانت في أمسها البعيد مقتصرة على الالسن تلوك أكاذيبها انها اليوم لتَـتَفنَّـنُ بعرض هذه الأكاذيب في صحف تخطف الأبصار بزخارفها ، وفي كتب تفتن العامة بمختلقاتها ، وفي مذاعات تدهش الغافلين بمبتدعاتها المسموعة والمنظورة .. وكلها منصب على حَمَلَة هذه الدعوة الربانية ، رغبة في تشويه سمعتهم لدى الكافة ، ممن لا يملكون القدرة على التمحيص والتدقيق .

ولعل من عجائب الاتفاق ان تتشابه الوقائع إلى حد يوهم بالتكرار ، اذ كثيراً ما يحاول هؤلاء الخراصون الفصل بين الاسلام ودعاته ، فيمدحونه ويذمونهم ، بل يخترعون لهم التهم

التي لا ظل لها من الواقع ، ليهدموا الثقة بهم في نفوس العامة .. حتى اذا نجحوا في ذلك سهل عليهم افساد التصور الديني نفسه في قلوب هؤلاء الضحايا . حتى شخصية الهدامين لم تكد تختلف خصائصها بين الأمس واليوم ، فاذا كان مخترعوا الافك على البيت النبوي ، والطاعنون على علماء الصحابة ، قد سماهم القرآن الحكيم منافقين ، فان صانعي مفتريات اليوم لا يقلون عن أسلافهم اولئك استحقاقاً لهذا الوصف ، وأي منافق في التاريخ يمكن ان يساوي أشياع ماركس ولينين في هذه الميادين !.. وهم الذين اتخذوا النفاق دينا لا يفارقونه حتى يتسللوا إلى مواقع القوة ، فيظهروا على حقيقتهم وعلى سنن أيمتهم ، كفرةً لا يؤمنون ، وقتلةً لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً .

على أن خطر منافقي الأمس لا يكاد يذكر بالقياس إلى خطر منافقي هذه الأيام ، ذلك أن ارتفاع مستوى الوعي بين مسلمي الصدر الأول حصر أثرهم في بضعة افراد من المؤمنين ، فلم يلبثوا أن فطنوا إلى مؤامراتهم فأفسدوا مخططاتهم . على حين أن ضعف هذا الوعي في مسلمي اليوم ، الى جانب تفوق الوسائل التي يملكها خصوم الدعوة لعرض الكلمة المفتراة . كل أولئك قد مكن لهم من نفوس العامة وأشباه العامة من المسلمين فكثر ضحاياهم المخدوعون بأراجيفهم .

أجل .. انها للمعركة التي بدأت بآدم عليه السلام وعدوه

عليه لعائن الله ، وليس ما نواجهه اليوم من هجوم هؤلاء الأفاكين على دعاة الهدى والمنافحين عن دين الله الا جزءاً من هذه الملحمة الشاملة المستمرة ..

فليصمد أهل الحق في وجه الباطل ، وليضاعفوا جهودهم في توعية الغافلين ، وليتذكروا أبداً أن أقوى أسلحتهم في هذا الميدان هو احتفاظهم بمزايا أسلافهم من أئمة الهدى ، المترفعين عن مغريات الدنيا ، المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليـا ، (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً . ان الله بما يعملون محيط) .

قضية المرأة ايضاً

كنا عدداً من الرجال في سهرة عند أحد الأصدقاء ، بينهم الاستاذ في الجامعة ، والمعلم في الابتدائية ، وطالب العلم .وجرنا الحديث الى الكلام في موضوع المرأة ، وما يثار حولها في بعض الصحف . ولما رأيت اضطراب الرأى بين طرفين متعارضين ، كل منهما يرفض مذهب الآخر ، ولا يكاد يستمع الى وجهة نظره ، رجوت منهما التريث والعود الى أسس البحث ، ليكون الوصول الى النتيجة قراراً منطقياً . وقلت : مما يقرب بين أفكارنا في هذا الشأن وكل شأن غيره ، اجتماعنا على الالتزام بأمر الله وطاعة رسوله ، عملا بقوله تعالى : (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا :سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ٢٤ / ٥١) فإذا كان لغير المؤمنين أن يضربوا في المتاهات بإزاء كل مشكلة اجتماعية تعترضهم ، فيذهبوا يمنة ويسرة وراء كل ناعق ، فقد اراحنا الله من الضياع بتسليط النور على الأصول الكبرى،التي تنظم مسيرة المجتمع الاسلامى . فما علينا والحال هذه الا ان نستفتي مصادر

الوحي في كل نازلة تلم بنـــا ، ثم نتتبع هذه الأحكام في مجالها التطبيقي ،لنتبين الصورة التي عليها استقر الأمر في حياة الصدر الأول من سلف هذه الأمة . »

وفي لهجة لم تخل من الحدة سأل أحد المعلمين : واذا لم نجد للنازلة حكماً في هذه المصادر ؟ .

قلت : يكون ذلك دليلا قاطعــاً على قصورنا في الادراك ، فنلجأ الى أهــل الذكر نستوضحهم ونتعاون واياهم للحصول على المجهول المنشود،لأن ربنا يعلن انه لم يفرط في الكتاب من شيء، وجاءت السنة النبويه ففصّلت ما اجمله الكتـــاب العزيز ، وأوضحت ما غمض منه ، وبذلك تركت الأمة عـلى المحجة البيضاء . ولقد فطن لهذا الشمول حتى البسطاء من ذوي الفطر السليمة، فقال أحدهم : لو أضعت عقال بعيري لوجدته بالقرآن.

وارتفع صوت المعـلم يقول . اذن فأنت ترى ان في القرآن حكم كل شيء ! فقلت وكأني لا أعنيه : وكل العـلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال .

وفي تصميم تابع صاحبنا : كان ذلك ممكناً قبـل أن تتعقد الحياة وتتسع آفاق المشكلات .. أما اليوم ، وبـــعد أن هبط الانسان على القمر ، وبات يتطلع الى المريخ وما فوقه ...

ولم يكمل الرجل عبارته ، بل ترك لنا مهلة التـــأمل بما وراءها .. فقلت : لعلك تتوهم أن الانسان قد استحال كائنــاً

آخر بمجرد دخوله هذه المرحلة من الكشوف ، فلم يعد ذلك الآدمي الذي يفرح ويحزن ، ويرضى ويغضب ، ويجوع ويظمأ ، ويخاف وييأس! ان الانسان يا صاحبي هو الانسان، سواء امتطى الحمار ، أو استخدم الذرة والبخار ، ولو هو أحسن التفكير في كيانه وبواعثه لعلم يقيناً أن التطور التكنولوجي لن يغير من حقيقته شيئاً ، وان كل ما يعتري حياته من أحداث لا يمكن ان تتجاوز الأصول التي اجملها الله في شريعته الخالدة ، وائتمن عليها ، بعد صاحب الرسالة ، أولي العلم ، من الذين آتاهم عبقرية الاستنباط ، وأقدرهم على استصفاء الادلة ..

قال صاحبي : فأين تذهب اذن بالقاعدة التي تقضي بأن الأحكام تتغير بتغير الازمان ؟ ..

قلت : تلك خاصة بما لم يرد فيه نص من الحوادث ، مما يعود الى اجتهاد الفقهاء حين تواجبهم المعضلة الجديدة ، فيقيسونها على أقرب النظائر اليها، بعد ملاحظة المقاصد الأساسية للشريعة. فهي لذلك قابلة للتعديل وفق تبدل الاحوال ، أما الامور التي تتجه اليها النصوص القطعية فلا علاقة لها بالقاعدة التي ذكرت ، بل تتصل بالقاعدة المقابلة التي تؤكد أن لا اجتهاد مع النص . اذ كل عمل الفقهاء في هذا الجانب مقصور على بذل الجهد في تحديد المدلول بالنظر الى كل ما يتصل بموضوعه .

وبعد إطراقة غير يسيرة عاد المعلم ليقول : مما لا يحسن

الخلاف عليه أن قضية المرأة قد اعتورها الكثير من التحوير ، فبعد أن كانت قعيدة بيتها لا تكاد تعرف شيئاً مما وراءه ، خرجت الى الدنيا تزاحم الرجل في الميادين التي كانت موقوفة عليه من قبل . وها هي ذي اليوم قاضية ومحامية وطبيبة ومدرسة الى عشرات الأعمال الأخرى ..

وقد أمدها هذا التطور بتحول كبير في مقوماتها الشخصية ، فصار لها من الخبرة ما لم يتوافر لامهاتها في العصور السابقة .. أفنظل مع ذلك نعاملها على الأسلوب نفسه الذي ورثناه من الماضي،أم نسلك معها سبيلاً آخر يتفق مع تطورها الكبير؟..

وظن الرجل انه قذف بالحجة التي لا ترد ، فشكرت له صراحته وقلت : كان بوسعك أن تمضي في عرضك إلى نهايته ، التي سبقك إلى ترديدها كتاب وحكام يرون أنفسهم أضخم من ان يخضعوا لاحكام الله ، فيزعمون أن نزول المرأة إلى ميادين الأعمال قد غير من واقعها المادي ، فحُق لها أن تنال من الارث مثل نصيب الذكر ، وعدّل من واقعها النفسي حتى اصبحت شهادتها في كل شيء على مستوى شهادة الرجل . والحق أن القائلين بهذا لم يفعلوا شيئاً سوى انهم اضافوا إلى ركام الاضاليل كذبة جديدة تفضح جهلهم لطبيعة المرأة من جهة ، وقصر بصائرهم عن ملاحظة الحياة البشرية وخصائصها من جهة ثانية ، ثم فراغهم الفكري ، الذي يجعلهم طائفة الأمّعات، لا يحسنون

غير الضرب وراء كل ناعب ، ولـكي يتضح لك ذلك عليك أن تتذكر ايها الأخ ان مشاركة المرأة في اعمال الرجل لم تسلخها عن مقوماتها الأساسية . فهي لا تزال كتـلة من العواطف المتفاعلة :

اذا غضبت لم يبق في قلبها رضىً
وان رضيت لم يبق في قلبها حقدُ

بل ان هذه المشاركة جنت على انوثتها ، اذ عرضتها لالوان من المتاعب والهوان ضاعفت من حساسيتها، وأفقدتها الطمأنينة التي طالما نعمت بها من قبل . وبقليل من التأمل تدرك أن نقصان شهادتها في القضاء الشرعي ينحصر في الامور التي تقل ملابستها اياها ، فاذا عرضت القضايا المتصلة بطبيعتها لم تنقص شهادتها عن شهادة الرجل ، بل ربما قـُدمت عليه .

وغمرت صاحبنا لحظة من الصمت الحائر ، ثم استأنف . حسن .. اذا كان هذا رأيكم في شهادة المرأة ، فمـا القول في نصيبها من الإرث ؟ .. أيبقى على انتقاصه ، وقـد اصبحت نِدّ الرجل في كل بناء للاقتصاد ؟ ..

قلت : من أجل أن تستوعب مـا سأقوله لا بد لك من الارتفاع بتفكيرك الى المستوى الذي يمكنك من النظر الى شمولية الاسلام في جوانبه المتكاملة جميعاً . فالاسلام يا صاحبي كلٌ لا يتجزأ والا كنا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .وقد

رتب الاسلام شؤون المرأة منذ ولادتها حتى نهايتها، ففرض لها أفضل الرعاية والحماية والتهذيب والاكرام ، بنتاً وأختاً وأماً ، ولم يكل شيئاً من ذلك وحده ، بل جعله حقاً في عنق الرجل والدولة. وبذلك كانت حصيلتها من الخير أكبر من حصيلة الرجل، وكان نصفها من الإرث أكثر فاعلية من نصفي الذكر . وانما جاءت هذه المطالب الزائفة بما يسمونه مساواة في حق الإرث من انحراف أصحابها عن طريق الاسلام . ولو هم آمنوا بما نزل الله لحافظوا على منهاجه، ولم يجدوا حاجة الى مثل هذا الضجيج المصطنع .

وسرعان ما عقب المعلم على ذلك بقوله : ولكن هذا الانحراف بات من الوقائع المسلمة ،فلا مندوحة عن أخذه بالحسبان عند تطلب الحل الأمثل لأي مشكلات المجتمع .

قلت : ذكّرني تقريرك هذا قصة طريفه . قيل ان رجلا جاء بأكوام من الحجارة فركمها في ساحة القرية، ثم رفع فوقها سارية تحمل مصباحاً أحمر . وأقبل الناس يسألونه : ماذا تريد بهذا المصباح ؟ قال : حماية المارة من خطر الحجارة . فقيل له. ولمَ أتيت بهذه الحجارة ؟ فأجاب : لكي أرفع فوقها هذا المصباح . وهكذا شأننا مع الناعقين بهذه المزاعم . لقد بذلوا كل مجهودهم لتخريب المجتمع الاسلامي ، ثم جاؤوا يطالبوننا بدعم هذا التخريب بإعطائه الصبغة الشرعية ! .. لا يا صاحبي لا فكما أن الحل الوحيد لمشكلة الحجارة والمصباح هو ازالتها

جميعاً ، كذلك السبيل الوحيدة لتدارك هذه الأخطاء ، وتقويم هاتيك الانحرافات، رهن بعودة المسلمين الى شريعة ربهم التي بها وحدها تستعاد العزة ، ويوطد الاستقرار ، ويتوافر الازدهار. وكل محاولة في غير هذا الاتجاه انما هي دفعة جديدة في مهـامه الضياع . وشتان بين الطريقين : (أفمن كان على بينة من ربـه كمن زُين له سوء عمله ، واتبعوا اهواءهم ٤٧ / ١٤) وحسبنا في ذلك تحذير العلـيم الحكيم في كتابه الحكيم ، إذ يوضح لعباده المؤمنين غاية كل من الدعوتين، دعوته الى سعادة الدارين ،ودعوة الشياطين الى شقاء الحياتين : (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ٤ / ٢٦) وهنا وقف الحوار وانفض السامر ، على أمل العودة الى لقاء .

خط النبوة

لحكمة بالغة كانت الصلاة عماد الدين – كما وصفها رسول الله ﷺ – وكانت فاتحة الكتاب عماد الصلاة حتى قال ﷺ (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج) أي غير تامة . وفي حديث آخر :(لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب) فكأنها الأساس الذي عليه يرتفع بنيان الصلاة . والحكمة في ذلك ظاهرة لكل متأمل بمعاني هذه السورة العظيمة ، وما تنطوي عليه من توجيهات تكاد تلخص منطلقات القرآن كلها . وما أريد في حديثي القصير هذا أن أتعرض لهذه المعاني التي تقتضي العمل الطويل الجليل ، ولكن أود الوقوف عند واحد من منطلقاتها الجليلة، وذلك في قوله تعالى الذي يدعو به المؤمن ربه في كل ركعة من كل صلاة: (أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم) .

هذا الدعاء يطلب الهداية يأتي في أعقاب التحميد والتمجيد والتوحيد لرب العزة ، الذي هو وحده صاحب الحق المطلق في ذلك ، ومنه وحده يُستمد الخير والنعم ، ولا خير ولا نعمة

تعدل الهداية الى الصراط المستقيم ، أو تعدل استمرار هـــذه الهداية على مدى الحياة ، وفي كل نازلة تشتبه فيها السبل ، فلا يستبين العبد سديدها وأفضلها إلا بتوفيق منه سبحــانه ، وقد حدد الله معالم هذا الصراط بأنه الذي سلكته قوافل المصطفين من عباده على مر الأزمان. أولئك الذين أنعم عليهم بالاستقامة في الطريق الأقوم ، الذي انتهى بهم إلى منــــازل الكرامة في الدنيا والآخرة .

في ظل هذه الأضواء الكشافة يتذكر المؤمـــن : الحاضر الوعي ، الخاشع القلب ، أنه واحد من ذلك الموكب المبارك ، الذي يبدأ بأول مؤمن أطل على هذه الدنيا ، ثم يتواصل دون انقطاع حتى يرث الله الأرض وما عليها ...

وأي موكب هذا ! .. انه موكب الصفوة مـــن خلق الله ، تظله أعلام التوحيد ، ويقود مسيرته المصطفون الأخيـــار من رسل الله ، الذين اختارهم لقيادة الانسانية، فمضوا بها في المحجة البيضاء التي لا يضل فيها سالك ، ولا يزيغ عنها الا هالك ..

انه الموكب الذي بدأ زحفه من الجنة ، ثم تابع خطاه فوق هذه الأرض في طريق العودة اليها .. فهو كالسيل الذي انبثق من السماء ، فهو يمر بالأرض ليرويها ويجملها وينبت فيها من كل زوج بهيج ، ثم يأخذ سبيله الى مصدره الأول دون توقف ..

ومن هنا .. من شعور الفرد المؤمن بهذه الحقيقة الكلية ،

يتكون ادراكه العميق للعلاقة الوثيقة التي تربطه بالماضي، الذي منه قبس النور المضيء سبيله،والمحدد له معالم المَثل الأعلى الذي يعيش من أجله على هذه البسيطة .

ان الانسان في هذا الكون كالضارب في الصحراء التي انطمست فيها المعالم ، وتعددت أمامه المسالك ، فلا سبيل له الى النجاة دون دليل يحيط بجوانب هذه البيداء كلها . والمسلم هو الوحيد الذي يملك ذلك الدليل لأن في يديه المخطط الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، فعلى ضوئه يسير ، وبه يسترشد ، فاذا هو غفل عن دليله ، أو استبدل به سواه ، عاد كغيره من التائهين المتخبطين .

قد يقطع الفرد صلته بتراث أمته ويكون معذوراً في ذلك، اذا تبين له انه غير سليم ولا سديد ، وأن الذين اورثوه ذلك التراث كانوا على ضلال في تصورهم للحياة، وفي تقديرهم للعواقب. وشأن الأمة كشأن الفرد في ذلك ، اذ تتضح لمفكريها اخطاء ذلك الماضي ، فيعملون للتخلص منها بالانصراف الى سبيل اخرى كما هو الشأن في بعض المذاهب الهدامة، التي تحاول فصل الشعوب عن ماضيها كله بما فيه من خير وشر .. ولكن أى عذر لانسان يرث تراث النبوة المؤيد بقوة الله ، وقد قامت كل الادلة على نجاحه وسداده وتفوقه على كل تجربة بشرية ، ثم يحاول أن ينسلخ عن ضيائه ، ليغوص مع الضائعين في أوحال الضلالات ؟ ! .

ان كثيراً من الامم التي نعاصرها ترجع في بعض أصولها الى ارومة واحدة ، وانما صيرها الى هذا التعدد فقدانها المُثُل التي تربط بين أجزائها، والمقومات الفكرية والروحية التي تضمن لها الوحدة والاستمرار ، وبذلك تقسمت الأمة أمماً،واللغة الواحدة لغات ، واتسع البون مابين بعضها وبعض ، حتى لا يكاد يصل بينها أي رباط .. على حين احتفظت الأمة الاسلامية بوحدتها على مر القرون ، وعلى الرغم من كل الزلازل التي تكالبت عليها من هنا وهناك ، وما ذلك الا نتيجة لازمة لارتباطها بالمُثُل الأصيلة من دينها الذي تعهده الله بالحفظ ، فكفل لها عناصر البقاء والوحدة والاستمرار ..

على ضوء هذه الحقائق المنطقية يدرك المسلم فرداً أو جماعة لماذا كان عليه أن يربط وجوده بخط النبوة فلا يفارقه قيد أنملة، ويفهم في عمق دلالة التوحيه الأعلى في قوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ١٦ / ٨٩) .

فها هنا تقرير رباني بشمول رسالة محمد ﷺ لكل خير تعجز الاحاطة به عقول البشر وتصوراتهم جميعاً .

انها تبيان لكل شيء .. فلن يقع في تاريخ البشرية حادث الا

وله حكمه في أصول هذه الرسالة من الكتاب والسنة .

وانها كذلك لَتَهْدِي الى أفضل الحلول لمشكلات الانسان، مهما تكاثفت عليه الظلمات .

وانها في احكامها وآدابها وعزائمها ورخصها لا تستهدف الا مصلحة الانسان ، فهي رحمة له في سائر أحواله .

وأخيراً انها بشرى لكل من أسلم وجهه لله بأنه على نور من ربه ، فلا يخاف بخساً ولا رهقاً .

فالمسلمون اذن حين يتخذون من رسول الله اسوتهم ، انما يطبقون منهاجه ﷺ في تحقيق هذه المنطلقات التي تنهض عليها رسالته المنقذة .. وبذلك يبرهنون على استحقاقهم المنزلة التي رُشحوا لها عندما اختارهم رب العزة ليكونوا شهداء على الناس، وعندما شرفهم بإقامته رسوله المصطفى شهيداً عليهم .. وذلك هو الجواز الحق الذي يبيح للاحقين الاندماج في موكب السابقين من النبيين والشهداء والصديقين، وحسن أولئك رفيقاً.

الايمان قوة وعزة

من عجائب هـــذا القرآن العظيم أنه لا تبلى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد والتكرار ، وما من كلم يكرر فيحلو على التكرار غيره ، وما من بيـــان الا وينتهي مضمونه الى حدود تستنفذ أغراضه ، فلا يجد المراجع لها جديداً يجدد به متعته الا هذا الكتاب الذي اودعه مُنزله نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ..

ولعل من الاسرار التي تشد العقول الصافية والقوب السليمة إلى كتاب الله ما يجده المواظب على تلاوته في وعي وتدبر من معان لم يكن قد فطن اليها من قبل ، ومن لطائف في الحروف والتراكيب لم تستبن له في قرا آته السابقة .. وما أحكم قوله ذلك العالم الذي سئل عن أفضل تفسير للقرآن ، فأجاب: أفضل تفسير هو الذي لم يكتب بعد .. ولا غرابة في ذلك بعد الذي قرره منزله سبحانه بقوله الحكيم : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ٤١ / ٥٣)وعلى هذا فكثير

من مقرراته الشاملة يعيا باستيعابها الفكر البشري ، فلا يستكشف من كنوزها ما يتجاوز الحدود التي بلغها الجهد العلمي، فكلما برز جديد من هذا الجهد وجد في اشارات الآيات الحكيمة ما سبقه اليه .

ذكرت هذا وأنا أتلو بالأمس قوله تعالى من سورة الاعراف: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض .. ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) .

إن الله جلت قدرته يقص علينا أنباء من قد سبق من الأمم ، ويعرض علينا مسايرهم ، لنستخلص من عبرها ما يقينا من مزالق الهوان ، ومصارع السوء ومن ثم نمضي على بينة من الأمر ، فإما إلى البركات التي لا حدود لها من الخير والعزة والنصر والأمن ، واما الى السقوط في مهاوي الخسران حيث لا ينفع ندم بعد الفوت .

والشيء الذي يستوقف ذهن المتأمل في هذا العرض هو تحديد المنطلق الحتم لكل من الاتجاهين . فالايمان مقروناً بالتقوى هو السبيل الموصلة الى كل هذه النعم السعيدة، يقابله التكذيب الذي به يستوجب أهله كل هاتيك النوازل المبيدة .

وبقليل من التدبر يدرك القارىء المؤمن أنه من هذه الآية أمام حقيقة كبيرة يوشك الإلف أن يصرفه عن اشاراتها البعيدة،

فالإيمان هنا ليس كلمة يتحرك بها اللسان ، ولا شعوراً عابراً يمر على الوجدان، وانما هو الى ذلك دستور يحدد سلوك صاحبه، فلا يتصرف الا في نطاق ما يقرره من الأمر والنهي ، ولذلك جاء ذكره هنا مردفاً بالتقوى ، التي هي حشد الطاقات النفسية كلها لتحقيق موجبات ذلك الدستور الحكيم ..

وطبيعي أن الايمان الصحيح لا يمكن أن يقود على الغوامض من الأحاسيس الهائمة ، بل لا مندوحة له من الوضوح الذي يُعَرِّف المؤمن ما له وما عليه ، وما يأخذ وما يذر، وتلك هي الأصول الآلهية التي حددها رب العزة بتوجيهه الحكيم ، الذي نبه اليه آدم وذريته منذ أهبطه وزوجته الى الأرض (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ٢٠ / ١٢٣) .

لقد استُخلف الجنس البشري في هذه الأرض ليعمرها بطاعة الله ، ورحمة به من الله الذي مَنّ عليه بهذا الاستخلاف لم يدعه هملا دون عون ، بل أمده بالمخطط الذي على ضوئه يستبين سبيله الى النجاح والكرامة والاستقرار ، فمصيره اذن مرتبط بمدى التزامه أو مجافاته لمعالم الوحي ، الذي بطاعته تتفتح البركات من السماء والأرض ، وبمخالفته تتفجر النكبات من كل صوب .

وسرعان ما استيقظت هذه الآية الكريمة في قلبي وعقلي صور اخوات لها من كتاب الله ، كلها تجري في هذا الاتجاه من التذكير بذلك القانون الرباني ، الذي لا يتخلف حكمه ولا يختلف أبداً ، وهو أن الايمان ، مقروناً بتنفيذ موحياته ،هو الضامن لكل عوامل النصر والعزة والتفوق .

إقرأ معي قوله تعالى على لسان هود لقومه : (وما قوم .. استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم) . .

وانما يستغفر الله من يؤمن به ، ويتهيب معصيته ، وليست توبته إذ ذاك سوى إخضاع التصرف لشريعته ،التي تحدد علائق الناس على الوجه الأضمن لمصالحهم ، فإذا فعلوا ذلك استحقوا مرضاة الله ،فجاءهم الخير من كل مكان.. وبذلك يحرزون أزمة القوة التي لا تقهر ، لأنها مدعومة بنصر الله .. الذي كتب : (لأغلبنّ أنا ورسلي) وقد جعل تأييده جزاء وفاقاً للعاملين على نصرته وإعلاء كلمته (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وأعلن من فوق سبع سموات أن رسله هم المنصورون وأن جنده هم الغالبون .. وبهذا القانون الحاسم يوجه خطابه الى خاتم رسله ومن معه من الرعيل الأول بهذه البشرى الخالدة :

(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم ، وأنتم الأعلون، والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم) .

ولعمر الله لا أرى أدعى للعجب من هـــذه الحقيقة يطالعها المسلمون ويسمعونها صبـــاح مساء . ثم يمرون بها وكأنهم لا يسمعون ! .

ألم يعلموا بعد أن التزام المسلم ، فرداً ومجتمعاً ، لشريعة الله هو الضمان الذي يصون من الهوان وجودهم ،ويحقق التقدم الحق لمجتمعهم ، ويؤمن لهم النصر والمؤزر على عدوهم ، ويزيدهم قوة الى قوتهم ، ويرد اليهم قبل هذا وبعده ما سلبته الغفلات من عزتهم (والله العزة ولرسوله وللمؤمنين . ولكـــن المنافقين لا يعلمون ٦٣ / ٨)

فيا أيها الغارقون في غمرات النزاع ...

ويا أيها الحائرون في متاهات الضياع ...

أصغوا إلى نداء ربكم يحدد لكم طريق الحيـــاة ، وينصب لأعينكم معالم النجاة : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بـــين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون ٨ / ٢٤)

إنه يدلكم على منابـع القوة الغالبة .. فهل أنتم مبصرون ؟

إنه يدعوكم إلى الحياة الكريمة العزيزة .. فهـــل أنتم مستجيبون ؟

فاللهم مزيداً من نفحات رحمتك ،ندرك بها عظمة شريعتك، وجلائل حكمتك ، وتحبب الينا التزام طاعتك ، حتى نلقـاك وأنت عنا راض .

وصل اللهم وسلم وبارك على من أرسلته رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه والسالكين سبيله على بصيرة إلى يوم الدين .

ايات ثلاث تسع الناس

حديثي اليك الساعة مقتبس من سورة لم تزد على آيات ثلاث، ومع ذلك فهي كما قال الامام الشافعي رحمه الله : « لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم » وقد أدرك الرعيل الأول من تلاميذ النبوة رضوان الله عليهم جلال الاضواء التي تطلقها هذه الآيات الثلاث في القلب المؤمن ، فكان الرجلان منهم اذا التقيا لم يفترقا الا على أن يقرأ أحدهما على الآخر قبل ان يبدأه السلام : (والعصر .. ان الانسان لفى خسر .. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ..

ومعلوم أن سورة العصر وأخواتها من قصار المفصل تكاد تكون القدر المشترك من محفوظات الكافة والخاصة من أهل الاسلام ، فما يكاد يجهلها أحد . ولكنها كغيرها من كلام الله يشترك في تلاوتها وسماعها سواد الناس ، ثم ينفرد العدد الأقل من بينهم في التفطن إلى اشاراتها البعيدة وايحاآتها السعيدة ، وبخاصة في هذه المرحلة الصاخبة من مسيرة الحياة في ظل

الطغيان المادي ، الذي يوشـــك أن يصرف الانسان حتى عن الاحساس بنفسه ..

فلنحاول تركيز بصائرنا قليلا على مضمون هذه السورة ، رجاء ان نوفق إلى استكشاف بعض أسرارها ، التي استضاء بها أولو الالباب من سلفنا الصالح .

ان ربنا تبارك اسمه يقسم بالعصر ، وله أن يقسم بما شاء من خلقه ، فما من شيء الا وهو شاهـــد ناطق أو صامت بوجوده وقدرته وحكمته ، فقسمه به انما هو تمجيد لعظمته سبحانه ، واجتلاب لانتباه عباده إلى دقائق صنعه ولطائفه ، مما لا يقدر عليه ولا يدعيه أحد سواه ..

أما العصر الذي انصب عليه القسم العزيز فقد أطلق دون تحديد ، ليشمل كل ما يفيده اللفظ ، فهو وقت العصر ، وهو صلاة العصر ، وهو الزمن الذي به تقاس حركات الخلق وتنتظم عليه اعمالهم .. وقد يتناول استخراج العصائر من مواضعها فيكون مصدراً بمعنى المفعول –المعصور– أو الفاعل–العاصر– وفي كل من هذا وذاك صور روائع من القدرة التي أتقنت خلق كل هذه الموجودات والظواهر ، في حكمة تشهد بأن كل شيء قد أبدع بقدر ، وألا شيء في هـــذا الكون الا وهو محسوب موزون .

ولنقف تأملنا على احدى هذه الدلالات .. وليكن ذلك عن مفهوم العصر الذي هو بمعنى الزمن .

كثير من الناس ، ولعلهم الكثرة الغالبة ، كلما واجهوا إخفاقاً في عمل ما تنصلوا من مسؤوليته ، وراحوا ينسبونها إلى الزمن .. فالزمن لم يواتهم، بل جرى بضد ما يريدون فلا تبعة عليهم وانما التبعة عليه وحده ، لقد تعمد مشاكساتهم ، فما يقصدون الى أمر الا وقف لهم دونه بالمرصاد .. حتى انهم ليتصورونه عدواً لا شأن له الا الكيد لهم .

لنسمع الى هذا الأحمق القديم يقول :

إلى الله أشكو سخف دهري ، فانه
يعاتبني مذ كنت غير مطايبي
أبى، ان يُغيث الأرض حتى اذا ارتمت
برحلي أتاها بالغيوث السواكب

انه يرمي الدهر بالسخف والمعابثة حتى ليمسك الغيث عن الأرض ، فلما ازمع السفر طلباً للرزق أغرق الأرض بالمطر نكاية به وحده ، ليحول بينه وبين حاجته ! .

وإلى هذا المشتكي الجديد الآخر يقول :

لا تلُمْ كفي اذا السيف نبا
صح مني العزم والدهر أبى

فكل من هؤلاء الأولين والآخرين يرد تبعة كل اخفاق الى الدهر وحده ، مبرئاً نفسه من كل عيب . بل ان أول الاثنين ليتجاوز حدود الأدب ، اذ ينسب المعابثة إلى مُنزل الغيث ،

وهو يعلم ان إنزال الغيث احد الخمسة التي انفرد بها الله ، فلا طاقة لمخلوق بأي منها . وهكذا يتضح مدى الاضطراب الذي يعانيه اولئك الحمقى في تفكيرهم ، فبدلاً من أن يحاولوا تصحيح سلوكهم ، ويتخذوا من التدابير ما ينسجم مع السنن الكونية ، يلقون بأنفسهم على غير هدى ، ثم يتهمون الدهر بما يشاؤون . ولو أوتوا سكة من الحكمة لأيقنوا أنهم انما يتنكرون لخالقهم سبحانه بهذه الترهات، ومن هنا جاء التنبيه الحكيم في الحديث القدسي : (يؤذيني ابن آدم بسب الدهر ، وأنا الدهر ..) لأنهم بحماقاتهم انما يذمون منظم الأكوان نفسه ، الذي جعل لكل عمل أثره على الوجه الذي ينتهي اليه .

وإذن فربنا إنما يقسم بالعصر تبرئة له من مزاعم أولئك الغافلين : ولتبصيرهم بالحقيقة التي هم عنها معرضون، وهي أن كلا منهم يحمل مسوولية سعيه،فلهما كسب وعليه ما اكتسب، ثم يأخذ بأيديهم إلى النور الذي لا يضل متبعه ولا يشقى .

إنه أولا يواجهه بالقانون الجازم في جواب القسم ، وهو أن الانسان خاسر حتما في كل محاولة يأتيها، ما لم يمارسها على السّنن الصحيح ، الذي ينهض على هذه الأركان الأربعة : إيمان بالله يمده بالقوة المتفوقة، إذ ينطلق إلى هدفه وهو على أتم اليقين بأنه موصول بحول الله ، ومحاط برعايته ، فلا تعارض بينه وبين قدَره ، لانه هو نفسه احدى ظواهر هذا القدر .

ثم الوقوف في كل تحركاته عند حدود العمل الصالح ، فلا يأخذ ولا يدع الا على وفق ما اوجبه أو أباحه الله ورسوله ، وبذلك يصون نفسه من التردي في المزالق التي يتخبط فيها العصاة ، حتى لو جانبه السداد في عمله فلن يجانبه الأجر على اجتهاده في تحري الأفضل من الأعمال .

ثم التواصي بالحق ، ولن يكون إلا تعاوناً بين المؤمنين بالحق المتلاقين عليه ، وليس هو في النهاية سوى حشد الطاقات لنصرة الحق ، ولحراسة المبادىء التي عليها يتوقف استتباب الأمن ونظافة الحياة .

ثم يكون ختام ذلك كله التواصي بالصبر ، وهو ضرب آخر من التعاون على استمرارية العمل بهذه الاركان ، ومن بديهيات الامور أن ملتزمي الصلاح معرضون لمعاكسات أهل المفاسد ، والمتعاونين على الحق مستهدفون أبداً لسهام اشياع الباطل ، ولا قدرة على شيء من هذا أو ذاك الا بالصبر والتواصي بالصبر ، فهما والحالة هذه الاكسير المجدد للطاقات والشاحذ للعزائم ، المستسهل لكل صعب .

وانظر معي اخيراً إلى تلك الصورة البلاغية في هذا التكرار : (وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) .

فقد يكفي الفعل الواحد مع العطف لأداء المراد من الجملتين ، كأن يقال : وتواصوا بالحق والصبر .. بدلاً من تكرار فعل التواصي وباء الجر ، بيد أن قليلاً من التأمل الحصيف في اسرار هذا

التركيب يكشف للمتذوقين الستار عن لطائف وراءه لا تقدر ، اذ جاء التكرار ليؤكد لكل من الحق والصبر قيمته الذاتية ، إلى جانب الحاجة إلى تعاونهما جميعاً .

فهل ادركنا الآن سر اهتمام الرعيل الأول من السلف الصالح بهذه السورة المعجزة ! .

وهل فطنا إلى سمو النظرة التي أوحت الى الامام الشافعي بتلك الكلمة الجامعة في تقديرها !.

في ضوء هذه الحقائق العليا يجدر بنا أن نتلو في خشوع عميق :

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) .

بين الاصالة والتقليد

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل (والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) .

انه سبحانه يمن على عباده بتذكيرهم ما زودهم به من وسائل الادراك الاولى رابطاً اياها بغايتها الطبيعية ، وهي اخلاص الشكر له وحده ، ومن ثم تتوارد الآيات موجهة للعقول والابصار إلى مظاهر فضله الشاهدة بكمال القدرة والعناية والحكمة ، سواء في جو السماء ، أو فوق سطح الأرض ، أو في اعماق النفوس ، فكأنه عن اسمُه يثير بذلك تطلعاتنا إلى ظواهر الوجود وخفاياه : لنعمل مواهبنا في استجلاء غوامضه ، فتتسع أمامنا آفاق المعرفة ونزداد تقديراً لنعمه ، وتمجيداً لجلاله ..

ومما يسترعي الانتباه في هذا العرض الأخاذ بدؤه بالسمع وتثنيته بالبصر ، قبل ذكر الفؤاد ، ولعل في ذلك اشارة إلى منزلة كل من هاتين الحاستين في سلم الادراك ، اذ إن السمع هو

أول الاسباب التي تصل الطفل بما حوله ، فعن طريقه يتعرف الأصوات حتى يصبح قادراً على التمييز بينها .. ثم يأتي دور البصر ، الذي به يشرف على مظاهر الوجود من الوجوه والأشياء والألوان ، فيفرق بين واحد وآخر على سنن التدرج ، وأثناء ذلك يأخذ الوعي القلبي سبيله إلى النمو ، حتى يصير قادراً على استثبات الصور المسموعة والمنظورة على سواء ..

فالانسان اذن يطلع على هذه الدنيا خالي الذهن من أي فكرة سابقة ، الا ما أُودعته فطرته من بذور الايمان بوجود الخالق ، والاحساس بالمسؤولية الشخصية عن تصرفاته بإزائه ، وعن هذه المنافذ الثلاثة يتعلم ويعي ويتصور .. وانما يكون حظه من الحياة على مقدار حظه من سلامتها ، وقدرته على الانتفاع بها ، فكلما كبر نصيبه منها ارتفع مكانه بين الأحياء ، وكلما خفت موازينه منها انخفض إلى ادنى .. حتى لترى الانسان يتحرك ويعمل ويحمل ارقى المؤهلات الدراسية ، وليس بحقيق أن يعد في عالم الاحياء ، لانه ألغى عناصر الاصالة من نفسه ، وقصرها على ترديد ما يقوله ويعمله الآخرون .

أجل ان الحد الفاصل بين الحي وغير الحي من الناس هو الخط الفارق بين الاصالة والتقليد ، فالانسان الذي يستعمل مواهبه لإدراك ما حوله ، وللتفكير في اسرار هذا الكون الفسيح المعقد ، هو ذلك الانسان المنسجم مع سنن الحياة ، الذي

من حقه ان يستمتع بلذة البصر في كل ما يأتي ويذر ، لانه ماض في عمله على نور من ربه ، بخلاف ذلك الإمّعة الذي آثر لعينيه العمى ، ولبصيرته الانغلاق ، فلا يتحرك الا متكئاً على سواه ، ولا يرسل بصره خارج الدائرة التي ضُربت عليه .

ولو رجعنا البصر في مراحل التاريخ البشري لوجدنا ان كل هبوط وصعود مرده إلى التزام أحد السبيلين ، الأصالة أو التقليد .

لقد جاء في الحديث القدسي قول ربنا عز اسمه (واني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم [1] فها هنا توكيد رباني على أن الانسان في جبلته سَويُّ الفطرة ، نقي من الزيغ ، وانما جاءه الانحراف عن مهيع الحق بوسوسة الشيطان ، الذين صرفه عن الاسترشاد بنور الفطرة إلى الضرب في المتاهات .. فكان من رحمة الله بعباده أن تعهدهم برسله فتتابعوا على هدايتهم ، يصححون نظرتهم ، ويقومون مسيرتهم ، ويجددون صلتهم بخالقهم على المنهج الأقوم . وأشد ما لقيه النبيون في جهادهم من أجل هذا الانسان هو استسلامه الصرير إلى دعاة الضلال ، واصراره على متابعتهم ، وتعطيله قدراته الموهوبة عن العمل ، حتى لا يدري أين يذهب به ، فله

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٦٧ ط المصرة ومكتبتها .

أعين لا يبصر بها وله آذان لا يسمع بها ، وله قلب ولكن لا يفقه به شيئاً .

سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن هداه الله للاسلام: رجل في مثل عقلك يا أبا عبد الله يتلكأ في قبول هذا الدين !. فأجاب ما مؤداه « لقد كنا نرى لآبائنا عقولا تزن الجبال ، فلا نجد حاجة لاعمال عقولنا في ما قضوا به ، حتى اذا مضوا رجعنا إلى نفوسنا فعرفنا الحق فاتبعناه » .

وسأل الاخنس بن شريق صاحبه أبا جهل ، وقد تلاقيا على سماع القرآن من رسول الله خلسة فقال يا أبا الحكم ، ما رأيك في ما سمعت من محمد ؟.. فأجاب أبو جهل : ماذا سمعت ؟ . تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف .. حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء . فمتى ندرك مثل هذه ! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه) .

ففي جواب عمرو رضي الله عنه اعلان صارخ بأنه واشباهه من المترددين كانوا قد ألغوا عقولهم البتة ، ثقة بعقول آبائهم ، فما إن انجابت تلك الظلمة عن أعينهم حتى استجابوا لنداء الفطرة فآثروا الحق على كل شيء .

وأما جواب أبي جهل فتصريح فاضح بأن هذه الطبقة من المعاندين انما يدفعها إلى رفض الحق الدامغ مرض في القلوب

يحول بينها وبين الرؤية الصحيحة ، ثم حسد لاهب لا يطفئه الا زوال الحق نفسه ! .

تلك نماذج لا تنسى من واقع الجاهلية الأولى ، من حقها أن تذكرنا بأشباهها في الجاهلية الحديثة التي نواجه نماذجها الأخرى صباح مساء .

ان اقبال الجيل الماضي على مناهج التفكير الغربي قد زلزل المقومات الشخصية في صدور الكثيرين من ضحاياه اذ سُلِّموا إلى كهنة الغرب دون حصانة من دين ، أو كفاية من ثقافة اسلامية ، فكان نتيجة ذلك ان رجعوا إلى قومهم يشككونهم بتراثهم ومواريثهم . فهذا يدعو إلى متابعة الغرب في خيره وشره دون استثناء ، وذاك يردد أقاويل أعداء الاسلام في حملةِ العلم النبوي من صحابة رسول الله ﷺ ، وآخر يؤلف في ضرورة الفصل بين الدين والسياسة... وما إلى ذلك من أضاليل. ومن طرائف ما حدث لأحد هؤلاء الببغاوات ، وكان عميداً لاحدى الكليات في مصر ، أنه قام قبل اربعين سنة بجولة في بعض الاقطار الغربية يحاضر في الدعوة الى اتخاذ القبعة الغربية غطاء مميزاً للرأس . وفي مدينة القدس وقف يعرض دعوته على جمهور من أهل العلم فلم يدع خيراً الا وصف به البرنيطة ، ولا أثراً عبقرياً الا نسبه اليها .. وكان من المستمعين الشيخ جمال الدين الحسيني رحمه الله ، فقال للعميد المحاضر « الظاهر أن للقبعة التي تدعو اليها أسراراً سحرية تغير مركبات النفوس ،

فاسمح لي أسألك : لو جعلنا قبعتك هذه على رأس حمار أكان يرتد انساناً عبقرياً كصاحبها ؟!...

وكان سؤالاً جامعاً مانعاً أسكت الداعية الذي لم يعتـــد السكوت من قبل ، وأكرهه على قطع رحلته تلك ، فعاد إلى قاعدته غير سالم ..

وكم ثمة من داع إلى نحلة خبيثة لا مسوغ لها سوى التقليد الهابط .. ولا مشجع عليها عليها الا خلو الميدان من الفرسان .

ابناؤنا المغتربون

في مختلف المناطق من أوروبة وأمريكة ، جيل من فتيان المسلمين عزيز على أمته أن يهمل أو يضيع ، وهو الذي على عاتقه سيقوم عبء المستقبل في بلاد الاسلام، والويل لهذه البلاد اذا ضيّع هؤلاء الفتيان أمانتها ، أو جهلوا رسالتها .

ومشاكل الجيل الاسلامي كثيرة ومتنوعة ، وهي أكثر ما تكون عدداً ، وأشد ما تكون تنوعاً لدى أولئك المغتربين من أفلاذ أكبادنا في الشرق والغرب ، ذلك لان معضلاتنا العقلية انما انبعثت من الاحتكاك بين مواريثنا الاسلامية ومفاهيم الحضارة الغربية ، فكان على هؤلاء الغرباء ، أن يتحملوا معظم هذه الأعباء، لأنهم في دفاعها يخوضون،ومع جنودهايتصارعون ويتعاملون ..

واذا تذكرنا أن الكثرة الغالبة من هؤلاء الأغرة يدفعون الى المعركة وهم مجردون من كل سلاح يرد عن عقولهم وقلوبهم غوائل الوساوس ، التي تجابههم من كل مكان ، وفي كل شيء من

محتويات الحضارة الغربية، سواء في الشارع أو البيت أو الجامعة، أدركنا هول الهوة التي يتعرض لها مستقبل هذه الأمة الاسلامية في طول الأرض وعرضها وأدركنا بالتالي ثقل الواجب الملقى على كواهل العلماء وولاة الأمور ورجال الفكر الاسلامي نحو هؤلاء الشباب ..

أجل .. لقد تركنا هؤلاء الأعزة العزل يواجهون أخطر معارك حياتهم، دون أن نقدم لهم أي عون سوى تكاليف دراستهم، وضروريات معيشتهم، وقد نمن عليهم بالمزيد من هذه الأمداد، لنوفر لهم مستوى مناسباً من العيش، وقد نسينا أو تناسينا أن حاجتهم إلى العون الروحي، أكبر من حاجتهم الى العون المادي .. لأنهم بالقوة الروحية وحدها يستطيعون أن يجعلوا لحياتهم هناك معنى وهدفاً، وما لم تتوفر لهم هذه القوة فسيكون كل مدد مادي وسيلة الى المزيد من ضياعهم، والى المزيد من شقائهم، ثم شقاء أمتهم بهم، لا سمح الله .

على أن من رحمة الله بهؤلاء المغتربين أن جعل فيهم عناصر ذات حظ من الوعي والحس الاسلامي، يحفظ عليهم دينهم، ويعصمهم من الذوبان في مغريات المجتمع الهابط .. فيأخذون من الغرب ما يعوزهم من المعرفة في نطاق السنن الكونية،

ويحتفظون بقلوبهم نقية سليمة من الأوبئة الشيطانية .. فهم — كما يقول المرحوم الرافعي — في اللهب لا يحترقون! ثم لا يكتفون بصيانة أنفسهم ، بـــل يحاولون أن يبذلوا من هذه الصيانة لاخوانهم ، فلهم من أجـــل ذلك نشاط مشكور ، يتجلى في الجمعيات التي يُنشئون ، وفي المساجد التي يبنون، وفي المنشورات التي يكتبون. وفي انكلترا وفرنسا والمانية وبلجيكا والاميركات دلائل من ذلك وبراهين ، تؤكد أن الاسلام سيظل حياً مكافحاً في كل مكان وفي كل زمان بفضل الله، وبتوفيقه إلى الخير أمثال هذه القلة من الفتية المؤمنين .. هؤلاء هم الذين يشددون أملنا بمستقبل الاسلام ، ولذلك وجب علينا أن نهب لهم من العناية ما يساعدهم على تحقيق مهماتهم بين اخوانهم من المسلمين، ورفاقهم الحائرين الذين لم يعرفوا بعد طعم اليقين ..

وبين يدي الآن طائفة مـــن رسائل هؤلاء الاخوة الأحبة بعضها من بلغارية ، وبعضها من المانية، وأكثرها من اسبانية. وفيها أسئلة حائرة ، وفيهـا وصف لمؤامرات فاجرة ، يشنها أعداء الحق على دين الله .. فهم يطالبوننا بالعون لحل مشاكلهم واخوانهم ، ويناشدوننا السعي لدى أولي الأمر من أهل الحق، لدفع التهم عن الاسلام ونبيه ﷺ ولقد رأيت أن أسوق بعض أجوبتي لهؤلاء الأعزة في بعض هذه الاذاعيات ، فذلك خـير

وأعم نفعاً من أن نقصرها عليهم وحدهم في رسائل لا يقرؤها غيرهم .. ذلك لان مشاكل هؤلاء الطلبة في مهاجرهم ، هي نفسها مشكلات اخوانهم من الطلبة في كل مهجر ، فمن الخير أن تعالج على مسمع من جميعهم .. وستكون الفائدة أكبر اذا شاركنا في هذه الابحاث بعض العاملين ممن يشاطروننا الشعور بحق هؤلاء الغرباء على أهل الفكر والعلم والاقلام الاسلامية النظيفة .

مفتون ولكن لا يعلمون

كنت أقلب النظر في مفكرتي للشهر الفائت ، فاستوقفتني على ورقة الثاني عشر من ربيع الاول العبارة التالية : الساعة ٧،١٥ من مساء اليوم وفي برنامج (رسائل) من اذاعة مونتكارلو قرىء سؤآل وارد من فتى عراقي حول موضوع المرأة والرأي الأصح بين لزومها البيت وعملها مع الرجل خارجه . فكان من جواب المذيع ما يلي بالحرف : ان ندوة تلفزيونية جرت في فرنسة يوم أمس لمدة ساعة وربع حول القضية نفسها ، وكانت النتيجة أن نصف الحضور من النساء وقفن الى جانب لزوم المرأة بيتها .

سرعان ما ذكرني هذا التقرير حديثاً قديماً في الموضوع نفسه نشرته جريدة الأخبار بقلم مندوبها في المانية الغربية ، عقيب الحرب العالمية الثانية الأستاذ أحمد بهاء الدين ، وخلاصته أن هذا الكاتب أدار حواراً مع امرأة المانية تقوم بعمل استاذ في احدى كليات الهندسة ، وقد سألها فيما سأل عن رأيها في عمل

المرأة خارج المنزل ولزومهـــا البيت لادارته وتدبيره ، فكان جوابها : لان انقطع الى البيت أغسل ثياب زوجي ، وأعد له طعامه ، وأعنى بشؤونه أحب الي من أي عمل في الجامعة أو سواها ..

وأغرب من هذا ذلك الجواب الآخر الذي ردت به على سؤاله بشأن تعدد الزوجات اذ قالت : لان أكون شريكة مع تسع زوجات في رجل كفؤ قوي أسعد لي وأكرم من أن أظل محرومة أنس الزوج وحمايته .

وفي كل من هذه الأفكار الغريبة مـــا يستدعي التأمل، ، ويستحق من المستمع ومني أن نقف عليه هذه الحلقة ، رغبة في الانتفاع بما يحمله من العبر وبخاصة في هذه الأيام ، التي كثر فيها المتكلمون في موضوع المرأة .

ان انتصار نصف النسوة الفرنسيات لحق البيت على المرأة ليحمل مغزي جد كبير بنظر أولى الالباب من المعنيين بتطور الاوضاع الاجتماعية في العالم .. فلو صدر هذا الرأي من نصف الاعضاء في الاتحادات النسوية العربية ، لما حمل من الدلالة أكثر من أنه صورة من الصراع بين القديم والحديث .. ولوجد من يعتبره ظاهرة مرجحة لانتصار الداعين الى الخروج على تراث الماضي .. امــا وان الصارخات به من قلب العالم الغربي ، وفي فرنسة التي قضى عليها التحلل الخلقي بالهزيمتين مرتين ، خلال

ربع قرن أمام جحافل الشعب الالماني-المحافظ حتى ذلك العهد، فلا مفهوم له الا انه تعبير فطري عن الضمير الفرنسي ، الذي هَدَ ته التجارب الطويلة الى أن انصراف المرأة الى العمل خارج البيت قد أفسد الحياة ودمر الهناءة ، وكاد ينسف أركان الاسرة الفرنسية تماماً ..

وهكذا القول في جواب المدرّسة الالمانية ، فهو لا يعدو أن يكون ضرباً من ردود الفعل ضد الشذوذ الذي فرق بين الالمانية والبيت الذي ألفت السعادة في ظله الى ما قبل النكبة الهتلرية ، التي قضت على ملايين الشباب ،وأكرهتها على الضرب في الأرض طلباً للقوت ، وحكمت بالعنوس أو التشرد الجنسي على ملايين الفتيات الالمانيات اللواتي فقدن في كنـــف الظروف الرهيبة فرص الزواج ..

قفزت هـــذه الخواطر الى رأسي وأنا أطالع بعض هاتيك الكلمات العجلى ، التي خطتها أقلام غير مسؤولة في قضية المرأة المسلمة ، محاولة التسلل الى قلبها عن طريق التظاهر بالغيرة على مصلحتها ، والرغبة في انصافها.. ولا باعث لذلك سوى محاولة التقليد المحض لشعوب من حولنـــا احتالتها شياطين الحضارة الغربية ، وانطلقت وراءها على العمياء ، تجرب كل مـــا خبث وطاب من تلك الاوصاع،التي شحنت نفوس أهلها-في الغرب- بجرائيم الضياع، وملأت قلوب مفكريها المصلحين بالألم والغثيان.

ولو أن أصحاب هـذه الأقلام الناقمة من وضع المرأة المسلمة ، المتعالي على تلك التفاهات ، قد قرءوا هذه الكلمات المصورة لواقع الحياة في أوروبا وأمريكا والعالم الغربي كله لامسكوا عن ذلك اللغو ولأكثروا الشكر لله على أن صان هـذه البقية من أمتهم عن ذلك المصير الذي يحاول المضللون جرها اليه .

ان الركيزة الاساسية في حركتهم هذه قائمة عـلى دعوى المساواة بين المرأة والرجل .. وهو ادعـاء لقي من الفكر الاسلامي الغلاب ما أتى عليه من القواعد ، إذ قذفه بالحقائق الدامغة من واقع التباين التشريحي والنفسي مـا بين طبيعتي الجنسين، مدعومة باعتراف الاساطين من أفاضل الفلاسفة والاطباء وعلماء الاجتماع .. وبذلك فقد ادعاؤهم كل مسوغ ، وبات تكراره من اللغو الذي لا ينطلي الا على الفارغين من ذوي الطباع المنحرفة ، والجاهلين الذين لم يكلفوا أنفسهم مواجهة الحقائق ..

أجل .. ان مجرد طلب المساواة بين الجنسين لا يعدو أن يكون فرية كبيرة يفضحها اختلاف التركيب بين الفريقين ، ثم تجارب الشعوب التي توشك أن تدمرها النتائج الهدامة التي انتهت اليها. ولو ان المساواة المدعاة من الامور المعقولة الصالحة لما كان ثمة أي حكمة في ايجاد النوعين كل منهما بازاء الآخر، ولكان الطبيعي أن تقتصر عملية الخلق على أحدهما ، بحيث يكون

التوالد عن طريق التقاسم الذي نراه في الدودة الشريطية .

هذه واحدة.ثم ان المنادين بهذه المساواة الزائفة انما يوجهون الى المرأة أسوأ ضروب التحقير ، لانهم يعلنون بذلك انحطاطها عن مستوى الرجل ، فهم يحاولون رفعها الى منزلته !

ثم .. ماذا يريدون بالمساواة ؟ أمساواة في الكرامة وحق الحياة وحق التعليم وحق الكسب وحق العدالة أمام القضاة ؟ ان كان ذلك مطلبهم فانما يؤكدون جهلهم ، لان المرأة لم تظفر بهذه الحقوق كاملة حتى اليوم الا في ظل الاسلام. ولو هم قرءوا قوله تعالى: (لِلرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساءِ نصيبٌ مما اكتسبن) وقوله جل وعلا : (لَهُنَّ مثل الذي عليهنَّ بالمعروفِ) وقوله سبحانه : (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لكفوا أنفسهم مئونة الشياط والعياط .

أما اذا كانت المساواة التي يريدونها هي مشاركة الجنسين في نوعية العمل دون تحفظ ، فذلك لون آخر من الاهانة للانثى ، لان معركة العمل ليست منصورة على المناصب العالية ، بل تشتمل كذلك أقسى الاعمال وأحفلها بالمصاعب ، ففيها حمل الاثقال ، وتنظيف الشوارع ، ورفع الاقذار ، ومعاناة الشقاء في ظلمات المناجم ، وما لا يحصى من ضروب الاشغال الشاقة ، التي أراحها الاسلام منها ، وساقتها اليها حضارة المادة .. حتى السكرتيرة التي يستدرجونها اليها ليست في حقيقتها سوى

اذلال صارخ لانسانيتها ، بدليل أن النضارة والشباب هما المقياس الامثل في اختيارها لهذه الحرفة ، فاذا فقدتهما نبذت كالعظم المعروق ، ولم تجد من يصبأ بها من هؤلاء .

وأخيراً ان أعجب ما في هذه الضجة المفتعلة في دنيا المسلمين هو ان اصحابها يتكلمون باسم الاسلام، ويحاولون التذرع بأحكامه ، وما لديهم من العلم به قليل ولا كثير .

وأقل ما يوصف به القوم انهم نصبوا أنفسهم للفتيا في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكبير .

مواكب الحمقى

لعلك قرأت مثلي في احدى الصحف ذلك الخبر الغريب عن سمكة عثر بها صيادون في المحيط الهندي ، وعلى ذيلها إسم الله بحروف واضحة لا لبس فيها . واذا كنت ممن يتابعون مطالعة الصحف فلا بد أنك قرأت قبـــل ذلك خبراً مماثلاً عن سمكة اخرى التقطها بعض صيادي المغرب ، وعليها بحروف كوفية مغربية (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) وقد نشرت تلك الصحف صورة السمكة ومعها تقرير إحدى المؤسسات العلمية بلندن يشهد أن الخط مخلوق مع السمكة لم تعمل فيه يد انسان. ويومئذ عقب على ذلك الخبر صديقنـــا الاستاذ عبد القدوس الانصاري معلناً أنه عثر ذات يوم ، وفي مدينة الرسول ﷺ بتمرة رسم عليها بقلم القدرة ، وبالحروف الكوفية نفسها ، كلمة التوحيد ، وقد شاركه في مشاهدتها العديد من سكان المدينة .

وقبل ثلث قرن قرأت في كتاب (عجائب الخلق) من تأليف جرجي زيدان نبأ من هذا الضرب، يتحدث عن سمكة في الهند طبعت على جلدها شهادة الحق بارزة لكل ذي عينين، وقد أيد هذا الخبر طلاب لنا في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة يشهدون انهم ابصروا ذلك السمك بأنفسهم ، وانه معلوم مشهور هناك.

لا شك انها أنباء مثيرة للدهشة، لانها أشبه بالصدمة الباغتة تفاجىء الغافل فتهتز أعصابه ، إذ تذكره بالحقيقة الكبيرة التي طالما صرفته عنها مشاغل الدنيا ، حتى كادت صورها تفـــارق ذهنه نهائياً.

بيد أن أخباراً كهذه ، مهما تبلغ من التوثيق، ليس من حقها أن تفاجىء المؤمن الحق ، الذي تعهد نفسه بالمراقبة ، حتى بات يرى في كل شيء صورة حية من عظمة ربه .

إن ارتسام إسم الجلالة وكلمة التوحيد على ثمرة أو سمكة ليس أدل على وجوده تعالى من أي مشهد تقع عليه العين البصيرة من أرجاء هذا الكون ، بل إن في تركيبك المعجز أيها الانسان ما لا يحصى من البراهين الدامغة على هذه الحقيقه ، ولو أن الناس قرءوا في تدبر قوله سبحانه : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) لحال إدراكهم لمضمونه بينهم وبين كل تعجب من هـــاتيك الأعاجيب ، ولشاركوا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه في

اطمئنانه الذي عبر عنه بقوله : (لو كُشف لي الحجاب ما ازددت يقينا) .

لقد مر العزيز بقرية قد خوت على عروشها فتساءل :(أنى يحيي هذه الله بعد موتها ! .. فأماته الله مئة عام ثم بعثه) ليريه من آياته ، فلما تبين له لم يزد على أن قال : (أعلمُ أنّ الله على كل شيء قدير) .

ولا عجب فان من شأن المراقبة لجلال الله أن تجدد حيوية القلب فتحفظ عليه توهجه ، الذي يجعله على تطلع دائم إلى عالم الحق ، فلا يصرفه عنه لهو أو متاع ، وشتان بين امرىء هذا شأنه مع ربه ، وآخر من الذين نسوا الله فأنساهم انفسهم ، فلم يفقهوا من اسرار انفسهم شيئاً . ومثل هذا المخلوق هو الذي تحيره الظاهرة الغريبة عن مألوفه .. ولكن ما إن تزايله المفاجأة حتى يعود إلى ضياعه (كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) .

يقول تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة لعلكم تشكرون ۷۸/۱۲) فنحن إذن نكتسب المعرفة عن طريق هذه القوى الثلاث ، ولكن هذا ليس خاصاً بالانسان ، فللحيوان أيضاً

سمع وبصر وفؤاد . انها القدر المشترك بيننا وبينه ، فلا فضل بها لاحد النوعين على الآخر ، الا أن لها في الانسان مهمة ممتازة لا يقاس بها الحيوان ، ولا يسأل عنها ، هي مهمة الادراك الناتج عن التأمل ، الباعث على تمجيد الله ، فاذا تجرد امرؤ من هذه الخاصة انسلخ من إنسانيته، وارتد إلى أدنى من درك الحيوانية، وهكذا يفقد ميتو للقلوب خاصية التفاعل مع العبر ، فيقابلون كل حقيقة بالرفض ، وكل حجة بالعنـــاد ، في اصرار لا يفي بتصويزه سوى بيان الحكيم العليم القائل فيهم : (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سُكرتْ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) .

وقد عرض لنا ربنا أنموذجاً من هؤلاء الذين استحقوا غضبه فدمر عليهم بذنوبهم ، وذلك في قوله تعالى : (ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه ، وجعلنا لهم سمعاً وابصاراً وافئدة ، فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا افئدتهم من شيء ، اذا كانوا يجحدون بآيات الله ،وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون).

لقد بلغ هؤلاء المتمردون على قوانين الخالق مدى بعيداً في التقدم المدني ، فلم يزدهم ذلك الا استكباراً في الأرض ومكر السيء ، فكلما أوغلوا في بيداء المادة ارتفعت حرارة غرورهم ، وجاوزوا المألوف في قحتهم ، فبهم وبأمثالهم في كل زمان

ومكان يقول سبحانه : (ولئن جئتهم بآية ليقولنّ الذين ظلموا إن انتم الا مبطلون) .

والحكمة يريدها الله لا تزال مواكب هؤلاء الحمقى تتلاحق في هذه المتاهات المهلكة ، يحملون الشعارات نفسها التي رفعها أسلافهم ، على اختلاف في الاسماء والاشكال والالوان.. ويسعون إلى النهايات نفسها التي صار اليها الظالمون السابقون ، دون ان تنفعهم آية ، أو تردعهم موعظة ، أو تهز ضمائرهم تذكرة .. لانهم رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فلم ينتفعوا بأبصارهم ولا بآذانهم ولا بأفئدتهم ، ولم يتجاوزوا في حياتهم نطاق البهائم التي أعفيت، من التكليف ، لما اعفيت من التفكير ، فاذا نظروا لم يعدوا جوانب الشهوة العابرة ، واذا سمعوا لم يفقهوا أكثر مما يفقه الذي ينعِقُ بما لا يسمع الا دعاء ونداء. بل انهم لينحدرون عن مستوى ذلك الأعجم ، لانه لم يقصر في الانتفاع بقواه كلها ، على حين ألفوا هم عقولهم ومواهبهم ، فانحصرت همومهم في توافه الملاذ (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعامُ والنارُ مثوى لهم) .

أجل ... ذلك شأن المعرضين عن آيات الله على اختلاف ازمنتهم وامكنتهم ، ربطوا أعينهم بمواطيء اقدامهم فليس بوسعهم ان يرفعوها إلى الأعلى . لقد ألغوا عقولهم فلا يفكرون في ما وراء بطونهم وأهوائهم ، وأفسدوا بصائرهم فهم ينظرون

ولا يبصرون ، فأنى لهم أن يؤمنوا لاعجوبة في سمكة أو تمرة، وقد كفروا بكل ما في هذا الكون من سموات وارضين ! .. (وكأيّنْ من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها مُعرضون) !.

فاللهم لك الحمد على ما نورّت بصائر المؤمنين، حتى ليشهدون عظمتك وحكمتك ورحمتك في كل خطرة وسكون .

وفي كل شيء لهـــم آية تذكـّرهم أنـــك الواحدُ

لكي نعرف اعدائنا

في هـــذه الحلقة سأتحدث اليك يا قارئي عن بعض جوانب النكبة ، وهي جديرة بتكرار الحديث ، لانها من الضخامة في الموضع الذي لا يمكن التشاغل عنه .. انها لكبيرة بآثارهـــا المادية ، إذ حولت اعداداً هائلة من المواطنين إلى لاجئين ، بعد أن كنا ننتظر تحويل اللاجئين السابقين الى مواطنين . وذهبت بالكثير الكثير من عتادنا الذي شربناه بثمن الخـــبز واللحم والكساء ، ورهنـّا من أجله مستقبل أجيالنا في أكثر من قطر عربي ، ثم انتزعت من وطننا الاجزاء التي كنا نعتبرها الحصون التي ستنطلق منها كتائب الإنقاذ ، والموارد التي ستنفجر بالنفط والخصب على اخوان لنـــا هم في امس الحاجة اليها ، فاذا هي تستحيل بين صباح ومساء ابراجاً لمدافـــع العدو ، ومراكز انطلاق لفيالقه الغازية ، ومصادر أمل لا تقدر في توسع جديد يستورد شذاذ الآفاق من كل مساق ! ..

وانها لكبيرة بحصائلها المعنوية ، اذ طوقت أجيادنا بأغلال

من الخزي لا نعرف لها مثيلا ، الا في سقوط بغداد تحت سنابك التتار ، والمسجد الأقصى في أيدي وحوش الصليبية !..

ولكن بقية من العز لا تزال تحركنا فلتستقي لنا بعض العزاء، اذ نرى المغلوبين من ضحايا الغدر يأبون الاعتراف بالعجز عن استئناف الصولة ، فهم يجتمعون هنا وهناك، باحثين عن أفضل الوسائل لاستعادة الوطن والكرامة ..

وانه لعزاء من حقه ان يشدد من العزائم ويستدرك ما خمد من شعلة الأمل ..

ولكن هل عرفنا العلاج الصحيح لهذا الأمل الجريح !.

لا اريد في هذا الحديث العجلان نقداً ولا عتباً ، فالوقت أضيق من أن يتسع للأخذ والرد ، وانما أريد فقط أن أذكّر الحائرين في غمرة هذه النكبة بأن العلاج المنشود ليس هو في الشرق ولا في الغرب ، ولا في ضخ البترول أو قطعه ، ولا في التعايش المشبوه بين النظم الدخيلة والنظم الأصيلة .. ولكن العلاج هو في صيدلية السماء ، التي لم تفرط في شيء ، ولم تدع داء بغير دواء ..

وكما يجب على الطبيب الحاذق ان يحسن تشخيص المرض وتحديد بواعثه ونوعه وملابساته أولاً ، هكذا يجب علينا ان

نعرف عدونا على حقيقته ، ونحدد خصائصه ومميزاته ، فاذا أحطنا بذلك عرفنا من أين نبدأ وأين ننتهي ..

والعدو هنا هو اليهود أولاً وآخراً .. حتى أنصارهم في الشرق والغرب والجنوب والشمال ،ليسوا سوى أدوات تحركها اليهودية ، وتلقنها ما يجب ان تقوله وتعمله .. فهل عرفنا حقيقة هذا العدو ، ودخائله على الوجه الذي لا يعتريه الخطأ أو التضليل !..

لقد قرأنا الكثير مما كتب عن اليهودية ومؤسساتها الخفية ، من ماسونية إلى صهيونية ، إلى شيوعية وديموقراطية ، إلى وجودية وهيبية وطالعنا الوفير من أوصافها الخلقية ، ووسائلها الجهنمية لافساد الحياة البشرية .. ولا شك ان في مطالعاتنا هذه الكثير من الواقع النافع ، غير ان هناك مصدراً آخر لانزال مقصرين في الافادة منه ، مع أنه المصدر الوحيد الذي يهبُ لنا الحقيقة كاملة ، ويضع في أيدينا السلاح الفعال الذي يقينا شر هذا العدو ، ويمكننا من القضاء عليه ..

ذلك المصدر هو كتاب الله وسيرة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ..

لقد شاءالله ان تكون اليهودية أحد الخصوم الذين اصطدمت بهم الدعوة الاسلامية في مطلع تاريخها ، وان ينزل في هذه

الخصومة قرآناً يتردد على ألسنة المؤمنين ومسامعهم صباح مساء ، فيكون لهم من ذلك دروس دقيقة التفاصيل ، عن كل ما يجب عليهم معرفته من خصائص تلك الشخصية الغريبة المشحونة بالعقد .. وطبيعي ان الله تبارك وتعالى قد أحاط علماً بما سيكون بيننا وبينها من التحاك والتصادم، وما ستحوكه لنا من مؤامرات ودسائس ، ولهذا زودنا بكل ما ينفعنا في هذة المعركة الهائلة ..

ولقد واجه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه دسائس اليهود أن كان في مكة ، ثم واجهها بعد انتقاله إلى دار الهجرة، حيث كانوا يبسطون سلطانهم الاقتصادي على المدينة وما حولها وينشرون بذور الفتنة بين سكانها من الأوس والخزرج ، ليستمر التناحر الذي يضمن بقاء نفوذهم المدخول .. وكان من بواكير عمله ﷺ في المدينة المنورة تلك المعاهدة التي عقدها معهم لتأمين حسن الجوار ، ولطمأنة قلوبهم إلى موقف الاسلام منهم ومن دينهم ، ولكنهم ما إن وجدوا الفرص سانحة للغدر حتى ضربوا بعهدهم عرض الحائط ، وشرعوا في دخول أنفاق الفتنة، التي لا يستطيعون التخلي عنها بعد ان باتت جزءاً من طبيعتهم الملتوية ..

وعن هذه الطبيعه الخطرة سيكون حديثنا القادم ان شاء

الله .. ولن نخرج بذلك عن الإطار العام الذى عنونا به لهذه الأحاديث ، لأننا سنرصدها من خلال القرآن العظيم وسيرة النبي الكريم . وطبيعي ان انتفاعنا بهذه الدروس العزيزة انما يتوقف على مقدار إلمامنا بأهميتها ، واسترشادنا بهدايتها ..

ومن هنا كان الحديث عن معركتنا مع اليهود وثيق الصلة بموضوع الايمان ..

مآسي اليوم والأمس

عندما تسمع أو تقرأ تلك الغرائب المشهورة عن النفسية اليهودية يأخذك العجب ، وتتساءل : من اين جاءتهـــا هذه الخصائص ، وما الذي زودها بهذه الطبائع ؟.. وسيزداد عجبك أكثر عندما تعلم ان اليهود ليسوا جنساً واحداً ، ولا يرجعون إلى نسب واحد ، بل هم أخلاط من شتى الامم والعروق ، فما بالهم مع ذلك يتفقون على المسلك الواحد في علاقاتهم بالشعوب الأخرى ، دون ان تؤثر فيهم اختلافاتهم القومية واللونية !..

انهم — مهما تختلف اجناسهم ولغاتهم — مجمعون على معاداة الجنس البشري كله ، مستبيحون لحرمات النـــاس وأموالهم ودمائهم ، مستخفون بكل ما تعارف عليه الناس من فضائل الوفاء والامانة والاستقامة ، مستعينون على ذلك بأخس الوسائل ، ولو اضطروا للجمع بين المتناقضات ، فيخترعون الشيوعية ، ويقاومونها بالديموقراطية ، ويبتدعون المؤسسات السرية ، يسخرون

بها عميان البشر لتحقيق أغراضهم الشيطانية ، تحت ستـــار الاخاء والمساواة والحرية !..

أما أنا فلا أرى لذلك سوى سببين: أحدهما يعود إلى كونهم قلة في غمار البشر ، فهم لا يستطيعون مجابهتهم بمطامعهم عن طريق القوة الصريحة ، فيلجئون إلى الاحتيال والتخفي وراء شتى الشعارات . أما الثاني وهو الاهم فعائد إلى موروثاتهم الدينية نفسها ، ممثلة في كتبهم المقدسة المشحونة بايحاءات الفتنة والفجور والقسوة .. وحسبك ان تعـــلم انهم لا يتورعون عن قذف أكابر أنبيائهم بأسوأ الاوصاف فيتهمونهم بالفجور ، حتى ليزعمون ان نبي الله لوطاً زنى بابنتيه !. ويرمون هارون بالكفر ، اذ يزعمون انه هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل ودعاهم لعبادته !..وعن النبي بن النبي سليمان بن داود عليهما السلام يتقولون انه هو الذي نشر في الارض المقدسة عبادة البعل !.. ويفترون على الله أشنع الكـذب ، اذ يكتبون في بعض تلك الاسفار انه قد صارع نبيّه يعقوب !.. ثم حدث ولا حرج عن الفظائع التي ينسبونها إلى أولئـــك الانبياء ، اذ يجعلونهم لا يتورعون حتى عن استئصال الجماعات ، بكل من فيها وما فيها من الاطفال والحيوانات !..

فأمة هذه كتبها المقدسة ، وهذه نظرتها إلى ربهـــا وإلى أنبيائها ، لا يستغرب ان تنعكس على أخلاقها تلك الموحيات

فتترجم عنها بالمؤامرات والدسائس والعدوان ، واستنزاف دماء الشباب والاطفال ، والتعاون على استلاب كل ما يمكنهم من حقوق الأمم ، التي يعتقدون أنها لم تخلق الا لخدمتهم !..

وقد استطاعت هذه المواريث من قبل ان تفسد الفطرة العربية التي استولت عليها تعاليم هذه الاسفار فتخرجها من ضياء الصراحة إلى سراديب النفاق ، الذي لا يتورع عن تحريف الحقائق ، وطمس البينات ؛ وخيانة الامانات الالهية .

وقد رأينا ذلك في انكار يهود المدينة ، وهم في الاصل من عرب الأزد ، لرسالة محمد ﷺ وهو الذي يعرفون من كتبهم صفته ومبعثه ، ومهجره ، كما يعرفون ابناءهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّقٌ معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به.. فلعنه الله على الكافرين) ..

وقدم عليهم وفد مشركي قريش من مكة يستفتونهم في دعوة هذا النبي العربي ، فبدلاً من ان يرشدوهم إلى الحق الذي يعلمون عمدوا إلى قلب الوقائع ، فذكروا لهم أشياء وكلفوهم ان يسألوه عنها ... ولكنهم جعلوا لكل جواب منه عكس مدلوله إمعاناً في التضليل ، كما صنعوا في مناسبة أخرى اذ يقولون لاخوان لهم (ان أوتيتم هذا فخذوه ، وان لم تؤتوا فاحذروا) .. وانما فعلوا ذلك حسداً للاميين الذين اكرمهم الله بخاتم النبيين ، ثم

اشتد حسدهم حتى انقلب عداوة عريقة يتوارثها الأبنـــاء عن الآباء .. ونقرأ هذا في وصف الله لهذه العداوة اذ يقول سبحانه (لتجِدنّ أشد الناس عـــداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) .. وفي التعبير بلفظ (أشدّ) دلالة قاطعة على انها من النوع الذي لا يعرفه الاسلام الا في اليهودية والوثنية .. وقد زاد هذا الوصف ايضاحاً قولُ رسول الله ﷺ : (ما خـــلا يهودى قط بمسلم الا حدّثَ نفسه بقتله) !.

اما خلق القسوة اليهودية فقد أبرزه القرآن العظيم فيقصته عن اصحاب الأخدود من أهل نجران .. اولئـك الذين فصّل لنا الحديث الشريف نبأهم ، فأرانا الظالمـــين من متهودة اليمن يحفرون الخنادق ويملؤونها ناراً ، ثم يقذفون فيها أولئك المؤمنين من أبناء عمومتهم (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) !.

ولعلّ من عجائب الغرائب ان تتكرر هذه المأساة اليهودية في جيلنا الراهن ؛ اذ يحرقون العشرات من شباب الطيرة وهم أحياء سنة ١٩٤٨ ، واذ يحصدون اليوم المئات من أبناء غزة والضفة الغربية بنيران قذائفهم .. وليست هذه المآسي الجديدة في الواقع سوى امتداد لأمهات لها قديمة ، وتوكيد تاريخي لحقيقة

تلك القلوب التي جاورت في الغلظة كل مثال (فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة) .

واخيراً .. من حق المستمع الكريم بعد هذا العرض الموجز ان يتساءل « اذا كانت هذه خصائص الخصم الذي نخوض معه معركة اليوم ، فما السبيل إلى تفادي مكره ، والانتصار على شره ؟ ... وجواباً على هذا التساؤل نقول : « ان موعدنا لبيان ذلك هو الحلقة التالية (في ظلال الايمان) ان شاء الله .

قوم لا يعقلون

نحن الآن على موعد الكلام عن الطريقة المثلى التي تمكننا من الانتصار على عدو الانسانية الأكبر ، الذي يجابهنا هذه الأيام بكل ما زودته به كتبه المحرّفة ، واحقاده المسعرة ، من سلاح المكر والغدر ، الذي به يستولي على الانصار من معسكرات العميان المسخرين لخدمته في الشرق والغرب .. ومن أجل ذلك اقف بك عند بعض الآيات الجامعة من كتاب الله ، لنتبين معاً خير الوسائل لدفع ذلك الخطر المدبر ..

لنقرأ معاً قول ربنا تبارك وتعالى من سورة المائدة : (وقالت اليهود : يد الله مغلولة ٌ غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفقُ كيف يشاء .. وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً

للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين) .

فهاهنا وصف دقيق يتناول عدة جوانب من طبيعة اليهودي فرداً وجماعة . فالله عز وجل يروي لنا خبر تلك الوقاحة التي دفعت بعضهم إلى اتهام الله بالبخل ، تعالى الله عن ذلك ! . ثم يعلل الباعث لهم إلى هذا القول بأنه خلقهم الذي تمرسوا به وتوارثوه حتى صار كالجبلة فيهم ، فهم من خلاله ينظرون إلى الله والى الناس ، فلا يصدقون ان ثمة من يتصف بالكرم والسخاء.. لذلك استحقوا لعنة الله :. ولو صحت عقولهم لابصروا آثار نعمه سبحانه في علوي الكون وسفليه .. ولكنها الظلمة استولت على قلوبهم فحالت بينهم وبين هذه الحقائق ، ومن هذه الظلمة تولد الحسد الذي اعمى قلوبهم وعيونهم عن نور القرآن فلم تزدهم حقائقه الا استرسالاً في العناد والبغي والجحود .

وقد ذكر بعض المفسرين ان الذي اتهم ربنا بالبخل واحد منهم لا كلهم ، ولكن واقع النفس اليهودية من حيث تفانيها في حب المادة يجعل الصورة شاملة للجنس بأجمعه ، لذلك ورد التعبير بصيغة الجمع منسوبة إلى اليهود لا إلى أحدهم . ثم تأتي الاحوال الأخرى التي تسجل الخطوط الثابتة لهذه الطبيعة

الجهنمية ، فالمجتمع اليهودي ، مهما بدا عليه التماسك من الخارج مخلخل من الداخل ، مشحون بأسباب التعادي .. وقد ردّ بعض المفسرين أسباب ذلك إلى تعدد الفرق اليهودية واختلافها على المفاهيم الدينية ، واحتدام الجدل بينها من أجل ذلك .. وهو أمر ملموس يعرفه الذين يتتبعون أوضـــاع اليهود في قلب اسرائيل ، حيث يري الشحناء على اشدها .. فمنهم الشرقيون ومنهم الغربيون ، وبينهما من الشقاق مثـــل الذي بين البيض والسود في اميركا ، ومنهم المتطرفون في الانحلال والمعتدلون ، ومنهم المتدينون والمستهترون ، ومنهم الذين يعدون انفسهم ورثة اليهودية ويرمون الآخرين بالكفر والمروق .. وطبيعي ان مثل هذا التمزق الداخلي يجعل المجتمع اليهودي على مثـــل البركان القابل للانفجار .. وكل ما نشاهده من هدوئه السطحي لا يعدو ان يكون كهدوء الرصاص الذائب ، يمنعه ثقله من الفوران ، وهو في اشد مستويات الغليان !. ولا غرابة في ذلك فان من طبيعة التكالب على المادة ان توقد نار التنافس بين أهلها حتى تنتهي بتدمير الجميع ، وذلك عندما يبلغ التوتر بهم أقصاه. ولكن هذا التفاعل على شدته لا يراه الا ذوو البصر الحـــاد والفكر النافذ ، لأن هذه الخلائط البشرية والفكرية مضطرة إلى قبول التعايش في الظاهر ، لسبب واحد هو كونه الوسيلة الوحيدة لتجميع القوى التي بها يحققون مطامعهم في استغـلال الضعف البشري .

وقد ذهب علماء التفسير إلى ان الحرب التي يدأبون على ايقادها ويطفئها الله ، هي محاولاتهم المستمرة لايـذاء المسلمين والكيد لهم .. ومن شأن هذا الاخبار ان يجعل المسلمين دائماً على أهبة الاستعداد لرد كيد هذا العـدو في مختلف الميادين ، فيتتبعوا دسائسه ، ويحتاطوا لأسرارهم المتعلقة به .. ثم يأتي ذكره تعالى لمفاسد القوم فيصفهم بالسعى المستمر لتشويه الحياة، فهم (يسعون في الارض فسادا) دون تحديد لنوع الفساد الذي يتناول ، كما هو مشهود ، المال والاخلاق والسياسة وحتى العلوم في سبيل افساد الفطرة البشرية، ليتمكنوا من تسخيرها لتنفيذ مخططاتهم ، وبديهي ان يستهدف هذا الوصف تحذير المسلمين من ان يفتحوا وجودهم لهذه السموم ، وهو تحذير لا مندوحة لهم من الاخذ به لأنهم يقرؤن في تعليله قوله تعالى (والله لا يحب المفسدين) ..

والآن ايها المستمع العزيز ننتقل إلى التأمل معاً في هذه الآية الأخرى من سورة الحشر : (لا يقاتلونكم جميعـاً الا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلـــك بأنهم قوم لا يعقلون) ففي هذه الآية العظيمة توجيه بليغ يضع في أيدي المسلمين مفتاح النصر على

مكر بهذا العدو ، فهنا أولاً توكيد للمعاني التي تضمنتهـا آية المائدة من حيث التفكك الداخلي للقوى اليهودية ، ولكن في الآية كذلك شيئاً جديداً يتحلى في أمرين اثنين : وصفهم بالجبن الابدي ، فهم قلما يواجهون المؤمنين في معارك مكشوفة ، بل لا يقاتلونهم الا في قرى محصنة أو من وراء جدر) .. وفي هذا القصر (الا) توكيد الهي على تلبس اليهود في حالة لا يستطيعون مفارقتها في حروبهم مع المسلمين ، الا وهي التحصن في البروج المعدة للقتال ..وقد رأيناها في حروبهم الأولى ممثلة في حصون قريظة والنضير وخيبر ، ونراهـا اليوم جلية في مستعمرات الحدود ، حيث أُعد كل بيت ليستحيل قاعـدة حربية عند الحاجة ! .. أما الجدر فيتسع مدلولها اللغوي حتى تشمل الطائرات والآليات التي يقاتل الجندي من داخلها ، وقدأكدت معاركنا الحديثة مع العـدو أن الآية مستمرة الدلالة ، فكما قاتلنا اليهود في صدر الاسلام يقاتلوننا هذه الايام ، وقد شهد الجنود والمدنيون من اخواننا انهم لم يكادوا يرون محارباً يهودياً خارج هذه الآليات !..

اما تذليل الآية بانهم لا يعقلون.. فاشارة معجزة إلىحقيقة كثيراً ما غابت عن الاذهان . فلقد ظن كثيرون من المفكرين ان اليهود فضلاً من عقل يتفوقون به على غيرهم ، وحجتهم في ذلك ما يشهدونه من تسلطهم على مراكز السلطةوالمال والأعلام

في معظم دول العالم !.. وقد فات هؤلاء الواهمين مـا لم يفت الفيلسوف الاغريقي أفلاطون قديماً اذ قال « من السفه ان نسمي الخبث ذكاء ، لان الخبث رذيلة ، والذكاء فضيلة » ..

وموعدنا لتفصيل ما أجملناه الحلقة التالية (في ظـــلال الايمان) ان شاء الله .

العرى الثلاث

كان سقوط البيت المقدس في قبضة الصهيونية الماكرة نقطة تحول في التاريخ الحديث بالنسبة للعرب والمسلمين .. فمن ناحية كذبت اولئك الناعقين ببوق الجاهلية الجديدة، التي أرادت بوَحي الشيوعية الكافرة أن تفصل قضية فلسطين عن العالم الاسلامي ، حيث أعلنت في يوم غير بعيد أنها قضية العرب وحدهم ، فلا علاقة للعالم الاسلامي بها ... وانما اوحت اليها الشيوعية بذلك تمهيداً لتسوية الموضوع على أساس اليسارية التي تجمع بين اتباعها في الجزء المحتل وخارجه .. ومن ناحية ثانية جاءت كمناسبة قاهرة أثبتت أن فلسطين ستظل الى الأبد احدى العُرى الثلاث التي تربط قلوب العالم الاسلامي ، فمهما تباعد الاحداث المفتعلة بين أهدافهم ، ومهما تتسلل الثعابين اليهودية لتباعد بينهم ، وتضرب بعضهم ببعض، فستظل مكة المكرمة والمدينة المنورة والمسجد الأقصى هي الكفيلة بمحو هذه المفارقات جميعاً ، والمجددة لروابط الأخوة التي أرسى الله قواعدها بين المسلمين منذ

آمنوا برسالة محمد ورسالات اخوانه النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فما ان يتحرك المتآمرون من الشرق أو الغرب نحو احداها حتى يتناسى المسلمون خلافاتهم ، ويهبوا كتلة واحدة للذياذ عن حياضها والحفاظ على قداستها .. واذا كان لا يزال بين العرب من يحب أن يحجب عينيه عن هذه الحقيقة ، فلا يعترف بها ، ولا يتورع أن يعلن أنه يستعد النصرة لقضية فلسطين من الكتلة الشرقية ، أو أميركة اللاتينية أو النحلة الشيطانية ، فقد شهد العالم كله أنْ لا نصيرَ للعرب في قضية فلسطين الا جماعةُ المسلمين ، وكل صوت ارتفع لنصرتهم غيرِ صوتهم فانما هو تابع لهم رغبةً في منفعة ، او رهبة من مضرة. وان اولئك النصراءَ الوهميين لم يكونوا سوى أشباح لا تخيف أحداً ؛ ولا تحسن سوى الجعجعةِ التي أضرت بالعرب اكثر مما نفعتهم ، اذ اتخذت من محنتهم فرصة تستغلها لتحقيق مصالحها على حساب فجائعهم !

أجل لقد شاء الله أن تكون محنة اليوم نقطةَ تحولٍ في تاريخ المسلمين بعامة والعرب بخاصة ، اذ كانت كالصفعة تنزل على وجه السكران فترده الى الوعي .. وقد ردت اليهم كثيراً من الوعي اذ فتحت اعينهم على الهاوية التي يساقون اليها من حيث يعلمون او يجهلون ،فأدركوا أن حولهم خمسمئة مليون يحوطونهم بقلوبهم ، ويتفانون في تأييد قضاياهم العادلة ، ولا يَقَرُّ لهم قرار اذا ما أصيبت مقدساتهم بأي سوء..وفي مؤتمر طهران

عقيب الكارثة ، وفي وفد اندونيسة الذي يجوب اليوم أقطار الاسلام موضحاً خطر المحنة ، ومؤلباً جموع المسلمين لدفعها عن قلب العرب .. أقرب البراهين الى اسماعهم وابصارهم .. وكل ذلك دون أن يكلف العرب انفسهم مشقة رحلة ، او يتحملوا في سبيله أي ثمن ، لأن القائمين به مدفوعون اليه بقوة العقيدة التي هي بالنسبة اليهم قضية وجود فلا يبخلون من أجلها بأي مجهود وفي مثل هذه المناسبات المثيرة يحسن بنا أن نتعرف بعض ما يجب معرفته على كل مسلم من تاريخ هذه البقعة المقدسة التي باركها الله ، ودنسها اليهود بجرائمهم الدامية ، وبتصرفاتهم الباغيه ..

يحاول الصهاينة ايهام العالم انهم أصحاب الأرض المقدسة الشرعيون ، أجلوا عنها مرغمين ، فتشتتوا في أنحاء العالم ،وهم اليوم يعودون اليها بحق الملك المسلوب والحق المغصوب،ولكنها حجة داحضة قد انكشف زيفها أمام كل عاقل من سكان الأرض.. ذلك لأن اليهودية ليست دين شعب بعينه ، ولكنها دين حاول دعاته الأولون أن يجعلوه عالمياً فسَعوا لنشره في مختلف الشعوب ، وهذا ما نراه ماثلا في تعدد أجناسهم والوانهم وأشكالهم ، ومن هنا لم يبق لهم من حجة في احتلال الأرض المقدسة الا حجة الباغي الذي يقيم وجوده على أسنة الحراب وقانون الدسائس !

أما علاقتهم التاريخية بفلسطين فهي علاقة الاحتلال المدعوم

بالقوة .. وقد شاء الله ذلك ليؤدب به قوماً نكثوا عهده ، فلم يرعوا حرمة بيته الذي جعله مهبط الوحي للكثير من أنبيائه، ومثابةَ الأمنِ لسائر عباده،لذلك كان من حكمته سبحانه أن يعهد بأمانته الى شعب آخر ، فكان هؤلاء الآخرون قوم موسى عليه السلام ، الذين اختارهم الله يومئذ لهذه المهمة ليبلوهم فيما آتاهم ، فيتبينَ استمساكهم بوعده ووفائهم لعهده، ولم يَدَعْهم لأهوائهم فأنذرهم بوجوب الاستقامة ، وأنبأهم بأن كل خيانة لهذه الأمانة مستوجبة لاستردادها من ايديهم، ولإنزال العقوبة الصارمة فيهم ..

وقد أصدر الله سبحـــانه أمره يومئذ اليهم بذلك فقال : (ادخلوا الأرض المقدسة ...) ولكنهم جبنوا مــن مواجهة سكانها العرب الكنعانيين فردوا على موسى بقولهم (ان فيهـا قوماً جبارين ، وانا لن ندخلها ما داموا فيها !) ثم لم يكتفوا بهذا التمرد الذليل حتى أضافوا اليه الوقاحة فقالوا له (اذهب أنت وربك فقاتلا .. انا ههنا قاعدون) فحق عليهم الحرمان منها ، وهكذا صدر حكم الله عليهم بقوله : (إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ..) ومنــذ تلك اللحظة أخذوا يضربون في صحراء سيناء حتى هلك الجيل الذي ألف العبودية في ظل الفراعنة ، ونشأ الجيل الذي كان أقرب الى الفطرة بمـا أفاضت عليه الصحراء من آثارها.. فأذن لهؤلاء بسكن الأرض المباركة ، ولكن بقية من مواريث الخلق الذليل كانت لا تزال

تـَنخـَر في كيان الكثيرين منهم ، وتدفعهم دفعـاً الى ممارسة المعصية ، حتى انهم ابوا ان يلفظوا كلمة الاستغفار التي أمرهم الله بها عنـد دخولهم باب البلد المقدس ! (فَبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم .)

ولقد حل بنو اسرائيل اذ ذاك محل الكنعانيين في رعـاية الأرض المقدسة واستمروا على سدانتها مـا دام فيهم الصالحون لرعايتها ، ولكن الجراثيم التي حملها الجيل المخضرم من مواريث الهوان في مصر لم تلبث أن ترعرعت وتفرعت هنا وهناك حتى غلبت مفاسدها على فضائل الصحراء ، فـاذا بالأحفاد ينزعون الى الأجداد ، فينسون الكرامة ، ويختانون الأمانة ، ويستحقون ما أنذروا به من سوء المنقلب ، فيسلط الله عليهم عباداً له أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً . .

وكانت هذه أولى المرتين اللتين غمر فيهما بنو اسرائيل بيت المقدس بالفساد ، فتلقوا عقوبة الله قتلا وسبياً وتمزيقـاً حتى خلت منهم الأرض المباركة جزاء على آثامهم وفاقاً .

أما افسادهم الثاني وما أعقبه من العقاب العادل ، وأمـا مفاسدهم التي ضاقت بها أرض الله قديماً وحديثـاً ، فموعدنا بها الحلقات التالية من أحاديثنا (في ظلال الإيمان) إن شاء الله .

من فمك ادينك

سمعت أكثر من واحد من المنتسبين الى العلم يتساءل في أعقاب كارثة ٦٧ : هل يكون الاحتلال اليهودي الفاجع لبيت المقدس وللضفة الغربية وسيناء هو المرادَ من قوله تعالى : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عَلَوا تتبيرا ..) ؟ وفي اعتقادي أن أصحاب هذا السؤال لو دققوا في نظم الآي وما أحاط بها من الأخبار لصرفوا النظر عنه ، إذ يدركون حينئذ أن الآيات تؤرخ لنكبتين أوعد الله بهما بني اسرائيل ، وقد مضى موعد احداهما إذ نفذت كما أنذر سبحانه ، فسلط عليهم جبارين بطشوا بهم ودمروا بيت المقدس وما حوله، ثم رفع عنهم البلاء حين فاؤوا اليه فردهم إلى الأرض المباركة كرة أخرى وأعاد لهم ما سلبهم من نعمة .

وتبقى النكبة الثانية موقوفة على ارتدادهم الى شنشنتهم

الشيطانية فاذا حصل هذا الارتداد – وهو حاصل لا محالة – أعقب النكبة الثانية ، إذ بعث الله عليهم قاهرين جدداً ، ينتقمون منهم لمحارم الله ، ويعيدوهم الى مصير أسلافهم من الذلة والقهر .

وقد كاد مؤرخو الاسلام يجمعون على أن النكبتين نزلتا جزاءً وفاقاً للافسادين الكبيرين .. ولكن الخلاف بينهم على أشخاص المسلطين .. من هم ومن أين جاؤوهم !

ولعل الأشبه بالواقع أن يكون أصحاب النكبة الأولى هم جالوتَ وجنوده ، ودليلنا على ذلك قوله تعالى(ثم رَدَدنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً .) فهنا انتصار يعقب انكسارا ، اذ أن بني اسرائيل قد انتفعوا من عبرة تلك الكارثة ، فأحسنوا سلوكهم ، وأخلصوا لله دينهم ، فرد الله لهم الكرة على عدوهم .

أما واقعة بَخْتَنَصَّر فهي تدمير وتتبير لم يعقبه أي انتصار عليه وعلى جنوده ، وهي واحدة من نوازل عديدة تتابعت على القوم تأديباً لهم ، وانتقاماً منهم لطغيانهم فلا يمكن اعتبارها مقصودة بالكرة الأولى ..

وقد ذهب الجلالان الى هذا التوجيه ، فأخذ برواية ابن عباس وقتادة عن تحديد رجال الكرة الأول بأنهم جالوتُ وجنوده ، ولكنه أخطأ حساب الكرة الثانية اذ أسندها الى

بختنصر ،وجعلها في أعقاب قتل اليهود لنبي الله يحيى عليه السلام وهو رأي مناقض لوقائع التاريخ ،اذ أن بختنصر من رجال القرن السابع قبـل الميلاد ، ومقتل يحيى حدث في القرن الأول ... فالمسافة الزمنية بينهما أبعد من أن تحذف عند الحساب !

وعلى كل فالقرآن الكريم لم يُعنَ بتعيين الأشخاص في كلتا النكبتين ، لأن عرض الخبر توجيه الاذهان الى العبرة بالدرجة الاولى .

وننظر في اجتهاد المفسرين عندمحاولتهم تأريخ الكرة الثانية وأشخاصها، فنجد الاختلاف كذلك واسعاً يصعب معه التعيين وربما كان أبينُ أقوالهم فيها أنها حملة الروم التي شنت على بـني اسرائيل في أوائل النصف الثاني من القرن الأول لميلاد المسيح ، إذ دمرت القدس وشَكيمَ – نابلس – وذهب السيف بعشرات الالوف من اليهود، فضلا عن التشريد الذي الحق الكثيرين منهم بالجبال .

وسواء أكان ذلك هو الموافق لوقائع الكرة الثانية ، أم أن حملة الروم واحدة من الحملات التي صبها الله على اليهود خلال التاريخ ، تحقيقاً لانذاره القائم الى الأبد في قوله الخالد : (عسى ربكم أن يرحمكم ، وان عُدْتُم عُدنا ..) فالواضح ألّا علاقة البتةَ بين خبر الآية الكريمة وتسلط اليهود هـذه الأيام على الأرض المقدسة .. لان التسلط المشار اليه بالكرة الثانية هو على اليهود لا لهم ، فهم المغلوبون فيها لا الغالبون وهم المدمَّرون

فيها لا المدمّرون ! ولا شيء من هذا ينطبق على وقائع هـــذه الايام .

وأقف هنا قليلا لأنقل الى المستمع الكريم صورة تاريخية عن الفساد الذي اقترفه اليهود في بيت المقدس ، فاستحقوا من أجله تلك الضربات الآلهية ، الـتي انتهت بتجريدهم من وظيفة القِوامة على الأرض المباركة

روى ابن كثير عن وهبِ بن منبّه أن الله بعث نبيه أرميا الى بني اسرائيل يذكرهم فضله على آبائهم ، وانعـــامه عليهم ويحذرهم عواقبَ معصيته التي انغمسوا فيها ، فكان مما وصف به أحبارهم ورهبانهم قوله عن ربه : أما أحبـارُهم ورهبانـُهم فاتخذوا عبادي خَـولاً يتعبدونهم ، ويعملون بغير كتابي ، حتى أجهلوهم أمري ، وأنسوهم ذكري وسنتي ، ودان لهم عبـادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي . . .) ثم يأتي على وصف طبقاتهم جميعاً فيقول – على رواية كعب الأحبار – (ان مَن كانوا من قبل هؤلاء يستَـخْـفون بمعصيتي ، وان هؤلاء يتبرعون بمعصيتي تبرعاً ، فيظهرونها في المساجد والأسواق وعلى رؤوس الجبـال وظلال الأشجار ، حـــتى عجّت السماء إليّ منهم ، وعجّت الارض والجبال ونفرت منها الوحوش.. وفي كل ذلك لا ينتهون ولا ينتفعون بما علموا من الكتاب .)

وهكذا نرى من خلال هذه النعوت مبلغ ما صار اليه القوم من الفساد الذي َشمِل خاصتهم وعامتهم فلا نستغرب أن نقرأ من

إنذار الله لهم هـذا الذي يقوله على لسان عبده أرمياء أيضاً :
(لأبَدِلَنّ ملوكَها بالعز الذلّ ، وبالأمنِ الخوفَ ، وبالغنى الفقرَ ، وبالنعمةِ الجوعَ ،وبطول العافيةِ والرخاء أنواعَ البلاء إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمري ..

وحقق الله وعيده فبعث عليهم عباده أولي البأس الشديد، فصبوا عليهم ألوان المهانة والتعذيب .

وقبل أن نتحدث عن الكرة الثانية يحسن بنا أن نطيل التأمل فيما سقناه من نُذُرِ أرمياء عن هؤلاء الذين استطاعوا أن يمثلوا كل هذه المآسي في تاريخ الارض المقدسة.. وانما يدفعنا الى ذلك ما نلاحظه من عجيب التشابه بين ماضيهم البعيد،وحاضرهم القريب ، حتى لا نكاد نفرق بين من يومهم وأمسهم ، فالآثام والجرائم التي ملئوا بها الأرض المقدسة من قبل هي نفسها التي ينشرونها اليوم في العالم أجمع ، وهذا ما يدعونا الى اعادة النظر في مدلول (الأرض) من قوله تعالى (لَتُفْسِدُنَّ في الأرض مرتين . (فقد نتبين لها مدّى أوسعَ مما ذهب اليه المفسرون قبلَ هذا العصر .. واذ ذاك سنجدُنا مضطرين إلى التساؤل عن موعد العقاب الجديد الذي ينتظر هذه الطفحة الجهنمية ، وعن الشعب الذي قُدّر له أن يقوم بتنفيذه .

الوباء الكاسح

لقد تواعدنا في الحلقة السابقة على أن نقف اليوم على مدلول كلمة (الارض) في قوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين)وقد قلنا ان الارض هنا قدتكون أوسع من حدود الارض المقدسة، واذا صح ذلك كان الافساد الذي تولى الجنس اليهودي إنشاءه واقترافه ليس خاصاً بها وحدها ، بل يعم كل الجوانب التي تشملها كلمة الارض ، ونذكر هنا أن اجتهاد المفسرين في هذا الشأن يكاد ينصب على الارض المقدسة دون غيرها ، وفي الجلالين أنها أرض الشام ، والشام تشمل فلسطين وما حولها ، والى هذا يذهب شهيد الاسلام سيد قطب، إذ فسرها بالأرض المقدسة ، وطبيعي ان تحديد الارض بهذا المعنى يقتضي بأن يكون الافسادانِ قد مضيا ومضى ما استتبعا من العقوبة الآلهية كما اسلفنا ، ولم يبق الا متعلـّق الوعيد الإلهي الآخر في قوله عز وجل (وإن عُدتم عُدنا ..) حيث قرن كل عودة الى المعصية بعودة الى العقوبة ،

وهو أمر مستمر ما بقي لليهود بقية في الأرض .. بل ما بقي للانسان وجود ، لأنه قانون إلهي عام يربط كل عمل بعواقبه ، كما تـُربط المقدمة بنتائجها .

ولكن ... أليس من حقنا أن نتساءل عما إذا كان المراد بالأرض في الآية الكريمة هو الأرض الكبيرة كلها لا جزءاً منها فقط ؟

وقبل أن نحاول الاجابة على هذا التساؤل نقول بأننا حين نذهب الى هـذا المفهوم نكون قد استخرجنا من كلمة الارض هنا كلا المعنيين ، بحيث يكون لكل من الكرتين معنى مناسب له .. ففي الافساد الاول يكون المراد هو أرض الشام ومـا حولها، لأن سلطان بني اسرائيل آنذاك لم يتجاوز هذه الحدود فلم يتجاوز فسادهم هـذا النطاق .. ولكن القوم فيما بعد لم ينحصروا في نطاق الشام وحده ، بـل انتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، وها هم أولاء تكاد لا تخلوا منهم رقعة من الارض ، وقد باتت مفاسدهم كالوباء الكاسح لا تقف في وجهه الحدود ولا السدود،وعلى هذا يكون في الآية الكريمة إخباران أما أحدهما فافسادهم في الارض المقدسة وما يترتب عليه مـن الانتقام ، وأما الثاني فافسادهم المجتمع الانساني كله ، ومـا يستتبـُع ذلك من العقاب المناسب له ..

ويحسن بنا هنا أن نعرض لبعض الوقائع من مفاسدهم العالمية

لنتبين أهمية الاشارة القرآنية اليها وأهمية ما نتوقعه لهم من العواقب الحاسمة في المستقبل القريب إن شاء الله .

إن نظرة عابرة الى ضروب الشقاء التي يعانيها العالم البشري في أيامنا هذه كافية لاعطائنا صورة رهيبة عن جناية اليهود على أمن البشرية وسلامتها واستقرارها ..

لقد ثبت بما لا يقبل الجدل أن الدسائس اليهودية هي مبعث الحروب الجهنمية التي عانتها شعوب الارض خلال هذا القرن ، وهي التي تهيء حروب المستقبل ، التي نلمح بوادرها في مختلف الزوايا .. وإذا نحن رصدنا أنواع التيارات الفكرية التي تهدم الخلق الفاضل وتفسد التصور الصحيح ، وتشوه الفطرة السليمة ، لم نجد باعثاً لذلك أكبر من هذه الدسائس اليهودية ، التي تبث سمومها في نظريات فلاسفتها من أمثال فرويد وماركس وسارتر وبقية الشياطين ..

واذا كان الوقت لا يتسع للتفصيل فلا أقل من أن نشير الى أبرز هذه المفاسد في حياة العالم البشري المعاصر ، ولا مندوحة لنا عن البدء بالشيوعية لانها أخطر مخترعات اليهودية وأشدها فتكا في هذه الانسانية المعذبة .

في كتاب (مذكرات القادري) وهو جنرال عاش سنوات الثورة الشيوعية في روسية ، فشاهد بعينه أحداثها ومخلفاتها وأهوالها، وصف رهيب لجرائم اليهود في الشعب الروسي وأثرها

في تفكيك بنائه ، وتحطيم كيانه الاجتماعي .

يقول هـــذا الجنرال المسلم ان مجلس الأوباش الذي قضى باستئصال آل رومانوف كان مؤلفاً من ثمانية عشر عضواً خمسة عشر منهم يهود.. وان مجموع ضحايا الثورة الشيوعية في روسية قد جاوز الخمسة وعشرين مليونـــاً .. وان خمسة عشر من أصل ثمانية عشر وزيراً بلشفياً كانوا من اليهود ، الذين سبق اندماجهم في الجنسية الروسية ، وتظاهروا باعتناق المسيحية ! ومن هؤلاء كان معظم أصحاب المناصب في الادارة والجيش.. وعلى رأسهم تروتسكي اليهودي المعروف .. وان ثورة الأوباش هذه التي حطمت المعابد ، وخنقت الحرية الدينية لجميع السكان، لم تَـدن من كنائس اليهود ، ولم تتعرض لحريتهم الدينية ، بل منحتهم من الحرية أوسع من كل ما عرفوه ، اذ كان حكم الاعدام مُسَلطاً على كل من يتعرض لليهود أو لمعابدهم بسوء .

ولا غرابة في ذلك فالشيوعية انما هي مؤامرة على العـــالم البشري حاكت خيوطها أصابع اليهود لتحويله الى قطيع يسهل عليهم قياده..وقد نجحت مؤامرتهم في تحطيم المقومات الروحية والمعنوية لأكثر من نصف سكان هذه الكرة ، واذا ذكرنا ان الشيوعية هي التي تمزق اليوم خمس البشرية في الصين ، وانما هي التي ذهبت أمس بالآلاف من أبناء العراق سحلا وقتلا ووأداً ، وانمـــا هي التي حرمت العرب فرصة الانتصار على اسرائيل ،

فَمكَّنت لهـا من احتلال بقية الارض السليبة .. اذا تصورنا ذلك كله أدركنا مدى الجريمة الـتي ترتكبها اليهودية في حق سكان هذا الكوكب المسكين !

ثم اذا مددنا البصر الى ما وراء العالم الشيوعي فماذا ترى من آثار هذه اليهودية الجهنمية ؟

نرى الفحشاء التي تكتسح العالم شرقاً وغرباً.. وقد ارتدت لبوس المبادىء الفلسفية ، واستهوت الاغرار بمسميات الفـــن والتقدم .. فهي بذلك تهدم بقية البنيـان العائلي والانساني ، فتنشر الانحلال والضياع والغثيان في كل مكان .

لقد فرضت اليهودية هذه المفاسد الأخلاقية بقوة الدولة عند قيام الثورة الشيوعية في روسية ، حـــتى أوجبت على كل فتاة بلغت الثامنة عشرة ولم تتخذ خليلا ان تسلم جسدها لكل راغب والا تعرضت لأشد العذاب ، وقد استمر ذلك هناك حتى سنة ٩٢٢ كما يقول الجنرال القادري حيث أدخـل الحكمُ الشيوعي بعضَ التعديلات على ذلك النظام الشيطاني .

واليهودية التي حققت هـذا الانهيار في روسية عن طريق القوة قد حققته في الغرب بطريق الاغراء،حيث أصبح الانحلال الجنسي هو الاصل الذي اذا شذت عنه فتـاة اعتبرت في أحط

دركات التخلف ، كما تصرح احـدى الفتيات الالمانيات لبعض الصحف الالمانية .

هذه الجرائم هي بعض المفاسد التي ينشرها الجنس اليهودي في الارض ، وهي جرائم لا مندوحة لها عـن القصاص الذي رأى العالم بعضه على يد هتلر .. ولن ينتهي ما دام في اليهودي عرق بالغدر والانسان نابض .

الملحمة الحاسمة

لم يعد لدى مفكري العالم أي شك في ان معظم ما تعانيه الانسانية من اضطراب وشقاق يعود إلى دسائس اليهودية. ولعل المفكرين المسيحيين أحق الناس بادراك هذه الحقيقة ، لان التلمود ، وهو الموجه العملي لهـــذا الجنس الجهنمي ، مشحون بالتحريض على النصارى ، واستحلال دمائهم واموالهم . الأمر الذي عرفه الكثيرون من مفكري الغرب فأسهموا في كشفه للملأ بعد ان اطلعوا على مصادره السرية ، وعواقبه التنفيذية .. واذا كنا كنا نرى الدول المنسوبه إلى المسيحية في اوروبة وامريكة لا تزال تشد أزر اليهود في اغتصاب فلسطين وفي تأييد توسعهم المخطط ، وتمدهم بمختلف الوان المعونة لتثبيت أقدامهم في وطن الاسلام وفي مسقط رأس السيد المسيح ، الذي يعتبره اليهود عدوهم الأول، فليس لذلك من دافع الا ميراث التعصب الصليبي الذي يدفع اصحابه إلى الوقوف بجانب كل عدو للاسلام ، مهما يجرّ هذا الموقف من أخطار عليهم وعلى المسيحية نفسها ! .

ولكن تواطؤ أوروبة وامريكه مـــع اليهودية لم يمنعها من مواجهة مؤامراتهـــا بأنواع الانتقام ، الذي لن تكون أفران هتلر آخر مراحله .. واني لأكتب هذه الكلمات بينما أخبـــار الحركة النازية في الولايات المتحدة تحتل جزءاً غـير قليل من حقول الصحف والاذاعات العالمية ، وهي احدى الحركات التي تمثل غليان الاحقاد على اليهودية في اوروبة واميركة على السواء. وليس ذلك كله في الواقع سوى صور عملية من التفسير التاريخي لقول الله تعالى في انذارهم (وان عدتم عُدنا) ..

واذا كان حجم العقوبة متناسباً مع حجم الجريمة فان كل ما ينزل في اليهود من الأرزاء لا يتوفر فيه التناسب مـــع حجم الجناية التي يقترفونها بحق الانسانية في كل مكان .. وهذا مـــا يدفعنا الى التوقع الذي ذهبنا اليه بشأن الكرة الثانية وهو ان تكون هذه الكرة مما ينتظر لا مما قد غبر ..

* * *

والآن لنقرأ في تأمل عميق ذلك الحديث الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه عن مستقبل علاقة المسلمين ببني اسرائيل ، فقد حدّث أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهوديُ من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر

والشجر : يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله .. الا الغرقد فانه من شجر اليهود) .

فهاهنا إخبار قاطع بملحمة لا مناص من وقوعها بين الجانبين تفسرها كلمة (يقاتل) التي تصور المشاركة المتقابلة ، ثم يأتي النصر الحاسم الذي يسجله فعل الغلبة بقوله (فيقتلهم المسلمون). ويعقب ذلك تجسيم الهزيمة الواقعة في العدو بصورة الاختباء وراء كل مظنّة للقوة والنجاة من حجر وشجر ، ويلحق بالحجر كل ما يتألف منه كالحصون والخنادق والبيوت والصخور . ويلحق بالشجر كل ما يتخذ منه للوقاية والتضليل والكمون .. ويبقى موضوع القول الذي يصدر عن الحجر والشجر ما هو .. وما صفته ؟ .. وهو تعبير يتسع لأكثر من تفسير ، فالقول يطلق على اللفظ الذي ننشئه من انفسنا ، والذي ننقله عن غيرنا ، ومن ذلك قوله تعالى في وصف كلامه العزيز (انه لقول رسول كريم). ويحتمل معنى الاشارة كما في الحديث (وقال باصبعه هكذا) . أي اشار .. وعلى هذا فقول الحجر والشجر يحتمل ان يكون كلاماً يخلقه الله فيهما لارشاد المسلمين إلى مكامن عدوهم في تلك المعركه ، فيكون ذلك من التكرمة الربانية لعبـــاده المؤمنين كتنزيله الملائكة لنصرتهم حين يشاء .. ويحتمل ان يكون من نوع الاشارة اللاسلكية أو الضوئية التي يحدثها الرادار ونحوه ، يوجهه الخبراء الى الاماكن المختلفة فيستكشف ما خلفها فيكون ذلك مساعداً على تتبع العدو .. اما استثناء الغرقد من هذا

التجاوب فلعله حاصـــل من تحصين اليهود اياه بعواكس معطلة لعمل هذه الاجهزة .. وطبيعي انه لا سبيل الى القطـــع بهذه التعليلات لأن الأمر متعلق بغيب لا يحيط به الا الله ، ولكنها محاولة لتقريب المعاني البعيدة . والذي نريد التنبيه اليه هنا هو ما يحملة الحديث الشريف من انذار للمسلمين بهذه الملحمة الهائلة، والملابسات التي تكتنفها ، والنهايات التي ستصير اليها..ليكونوا على بينة من مسؤولياتهم الآتية ، وعلى أهبة لتحقيق واجباتهم بازائها ، حتى يستحقوا النصر الموعود ..

وقد بقي هناك نقطتان . الأولى : أن مجرد نداء الحجر والشجر بكلمة (يا مسلم .. يا عبد الله) . دليل كاف على ان جنود الأسلام في تلك الملحمة سيكونون من النوع الذي يستحق الاضافة إلى الله .. ولن يستحق المحاربون هذا التكريم الا ان يكونوا مُصَفَّين من كل عصبية جاهلية ، خالصي العمـــل لله وحده ..

والثانية ان الخبر النبوي يعرض العدو معرفاً بأل ، وفي هذا هذا التعريف الاستغراقي ما يسترعي الانتباه ، ويفسح مجال الاحتمال أنه اشارة إلى تجميع يجعل اليهود صالحـــين لكسر شوكتهم وتحطيم قوتهم ..

واذا صح هذا الاحتمال ، ولا مانع منه ، فلن يكون ثمة تجمع لهذه الشراذم السامة أصلح من تجمعهم القائم في فلسطين ،

وبالتالي لن تكون هناك فرصة للقضاء على شرورهم وانقاذ البشرية من فواجعهم أصلح من هذه المناسبة !.. ولا حاجة للظن بأن نتيجة الملحمة هي استئصال الجنس اليهودي كلياً ، فان التعبير بقوله ﷺ (فيقتلهم المسلمون) . قد يراد به الاثخان دون الاستئصال . وذلك كقول عمرو بن سالم الخزاعي لرسول الله ﷺ :

هم بيتونا بالوتير هُجّدا وقتلونا رُكعاً وسجدا

ولو كان القتل شاملاً لخزاعة لما بقي منهم هذا المخبر ، ولو كانت نهاية الملحمة استئصال اليهود لما أخبر الرسول ﷺ في حديث آخر بأن عشرات الآلاف منهم سيتبعون المسيح الدجال فيما بعد ..

ولقد يزيد عجب المسلم اذا علم ان بعض كتب اليهود المقدسة تحمل اليهم الانذار نفسه الذي يقرره الحديث النبوي !.واجلاء هذه الحقيقة ليس على المستمع الكريم الا ان يفكر في هذا الخبر الذي يرويه حزقيال عن ربه موجّهاً إلى هؤلاء الشذاذ ، ننقله عن الاصحاح السابع عشر من السفر المنسوب اليه : (ها أنذا أجمعكم في وسط أورشليم جمع فضة ورصاص ونحاس وقصدير ، الى وسط كور ينفخ النار عليها .. كذلك أجمعكم لغضبي وسخطي ، وكما تسبك الفضة في وسط الكور كذلك

تسبكون في وسطهـــا فتعلمون اني انا الرب سكبت سخطي عليكم) ..

فالعبارة واضحة الدلالة على أن القوم سيبالغون في الفساد حتى يسلط الله عليهم كارثةواسعة تصهرهم صهر المعادن فتوشك أن تكون استئصالاً عاماً .. وانه لما يسرُ المسلمين أن يشرفهم الله بهذه المهمة انسامية ، مهمة تطهير الأرض من جرائم هذه الطغمة ولو الى حين ...

لصوص العالم

أحب أن أقف هذه الحلقة على وصف الله تبارك وتعـــالى لليهود بأنهم (قوم لا يعقلون) لا بد أن يكون بين القراء من يستغرب هذا الحكم على الجنس اليهودي، ولا عجب فمعظم أهل الأرض يتهمون اليهود بالذكاء وبعد التفكير، ودليلهم على ذلك – كما أسلفنا – استيلاؤهم على أزمة المال والسياسة في الشرق والغرب، وسيطرتهم على أسلوب التفكير البشري عـــن طريق الفلسفة والتيارات العالمية التي فجروها في جميع الانحاء، فاذا لم يكن هذا هو العقل كله، فأي شيء هو العقل ؟

فلنبدأ أولاً بتحليل مدلول العقل من ناحية اللغة، وهنـــا نجد تلازماً قوياً بين العقــل، بوصفه طاقة التفكير والاستنتاج والتدبير، وبين العقل بوصفه مصدراً لفعل يتضمن معنى الربط فالعقـــل في الأصل مجرد الربط ومنه سمي العقال، لأنه رباط يمسك الدابة وغيرها، ولما دخلت كلمة العقل في النطاق المعنوي لم تنفصل عن معناها الحسي الأصيل، لأن أهم وظائق العقـــل

البشري كونه رباطاً للمعلومات يحفظها وينظمها ويقايس بينها، ليتوصل الى الأحكام الصحيحة التي تقيد عمله ضمن حدود الواجب والمنطق .. فالعقـل اذن قوة من شأنها أن تعصم صاحبها من الزيـغ في جميـع أعماله ، وهو المعنى الذي قصد اليه القرآن العظيم في كل مشتقات العقل ومرادفاته ، مثل (تعقلون والنهى والالباب ، والحجر ، والرشاد والاحلام) ومعنى ذلك ان الانسان الذي لا يجد من نفسه رادعاً عـن المنكر وحافزاً الى التزام سُبُل الخير ، انما هو انسان مريض العقل ، او فاقده ، ولو كان في الذروة من الرياضيات والفلك والفيزياء والكيميـاء والفلسفة .. وطبيعي ان إغفال النـاس لهذا المقياس هو الذي أدخل عليهم التخليط في مفهوم العقل ، فراحوا يلصقونه بكل دعيّ ، ولا دليل لهم الا انه وضع النظرية الفلانية ، أو اكتشف العنصر الفلاني ، وقـد يكون في الحضيض من حيث الأخلاق والايمان والاستقامة ! ولعل في هذا الانحراف الفكري أقرب تفسير لقوله (ص) في موضوع رفع الأمانة من حديث حذيفة في صحيح مسلم . (حتى يقال للرجل ما أجلده ! وما أظرفه ! وما أعقله ! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان !).

على ضوء هذا الدليل الرباني ننظر الى الجنس الذي أفسد على الانسانية معنى الحياة ،فلا نجد أبعد منه عن محجة العقل السليم ، ولا نجد أحق منه ومن أمثاله بقول الله تعـالى : (ذلك لأنهم قوم لا يعقلون) .

لقد اشتهر اليهود في قديم التـ اريخ وحديثه بالدس والغدر والمسكنة ، وهي الخصائص التي تميز بهـــا الجبان في كل مكان وزمان ، وقد عرضنا في حلقات سابقة لبعض ما عانيناه مـن خصائصهم هذه منذ الجاهلية حتى يومناهذا .. وحسبنا الآن من ذلك تذكير المسلمين بأن معظم التحريفات الـتي أحدثت الفرق الغالية في الاسلام انما كانت من صنع مجرمي اليهود،وفي أوائلهم ابن السوداءَ الذي كان أول مخترع للخرافة القائلة (ان لكل نبي وصياً) وبهذه الخرافة توصل الى تشويه عقيدة التوحيد في نفوس الغوغاء ، فأوهمهم أن علياً هو الله .. والعياذ بالله ! ..

واذا نظرنا الى حاضر هذه الطغمة في أيامنا هذه فلن نراها سوى امتداد لذلك الماضي الأسود ونظرة عابرة الى بروتوكولات حكمائهم تؤكد لنا ان ليس ثمة من فتنة في أي جوانب المجتمع البشري الا ولليهود فيها اليد الطولى !

وعندمـــا نعرض لدسائسهم تثب الى رؤوسنا وألسنتنا مؤامراتهم على أنبياء الله ، واقدامهم على تحريف كتبه،وتشويه حقـائق الوحي ، كما يصرح بذلك نبيهم أرمياء الذي سبق أن أوردنا بعض كلامه في هذا الصدد .

أما غدرهم الموروث فهو ماثل على امتداد تاريخهم بدأ بإلقاء يوسف الصديق في الجب، ومروراً بمؤامرة أحبارهم على نبي الله عيسى ثم خيانتهم لمحمد (ص) يوم قينقـــاع والاحزاب ، الى

اغتصابهم بالمكر والجريمة وطن الاسلام في الارض المقدسة ... ولا يسعنا أن ننسى من حلقات هذه السلسلة اختطافهم الأطفال والنساء والرجـــال من أصدقائهم المسيحيين وأولياء نعمتهم المسلمين ، ليستنزفوا دماءهم ويمزجوا بهـــا فطيرهم المقدس في أعيادهم التاريخية ، ثم يفتتون أجساد أولئك للضحـــايا ليزيلوا معالمها عن الوجود، مما لم يعد خافياً على أحد ، بعد أن امتلأت بتلك الجرائم تقارير الشرطة ، وكتب المؤرخين من ثقـــات المفكرين العالميين !

بقي موضوع المسكنة وهي الوسيلة التي يتذرعون بها الى تحقيق معظـــم جرائمهم في أوساط البشرية .. وفي الوقت نفسه هي أبرز مميزات الجبان ، الذي يستشعر العجز عـــن مجابهة الخصم بالصراحة المكشوفة ،فيعمد الى اظهار الضعف والخنوع استدراراً لشفقته ووراء ذلك اللهب الجاحم والسم الحاسم ! وطبيعي أن الانسان الذي يرى الى ذلة الذليل يستنكف عن ايذائه احتقاراً وينزع الى مساعفته اختياراً .. وهكذا تنجح حيلة اليهودي في التسلل الى مواطن الضعف من عدوه الانسان ،ومن هناك يطلق لدسه وغدره العنـــان في قسوة اللئيم الذي يجد غيرة من ذوي الاحسان .

ونحن عندما ندقق النظر في وسائل اليهود لاستدرار عطف الناس عليهم في شرق أو غرب ، فسنرى هـــده المسكنة أكبر ذرائعهم لتنفيد فظائعهم .. وهم يفتنّـون في عرضها وتمثيلهـــا .

وحسبنا على نشير منها الى ما ذكره اليهودي المتمرد على اليهودية (الفريد لينتتال) في كتابه (ادفع دولاراً تقتل عربياً) حيث أرانا المنظمات اليهودية تحشد كبار السن من عجزة اليهود على أبواب الكنائس وأفواه السكك وهم يحملون على صدورهم لافتات تستثير الرحمة فتنهال نقود المخدوعين على الصناديق التي يجمعون فيها ثمن الاسلحة المعدة لقتل المسلمين !

وأخيراً دعونا نتساءل .. هؤلاء الذين يرتكبون كل هذه الحماقات ، ويقترفون كل هذه المنكرات ، ويبتعدون عن كل هذه الدناآت ،فيعرضون أنفسهم أفراداً وجماعات لنقمة الشعوب حتى تنزل بهم أهول الكوارث بين الحين والحين .. مثل هؤلاء المخربين هل يجوز تسميتهم بالراشدين الذين يقال انهم يعقلون !

الحق انهم ابعد الخلق عن العقل ، وانما هم مجموعات من لصوص العالم ، يسعون لتهديمه بمعاولهم ، ثم سرعان ما تنقلب عليهم هذه المعاول ، كلما اتيح للانسانية من يكشف لها عن دخائلهم الخبيثة .

وصدق الله العظيم الذي جسم لنا طبيعتهم العوجاء في قوله الخالد الحكيم : (ضُرِبت عليهم الذلةُ أينما ثُقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباؤوا بغضب من الله ، وضُربت عليهم المسكنة .. ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٣ — ١٢) .

فالذلة ملازمة لهم لا تزايلهم الا عرضاً بسببين اثنين ،احدهما

ان يسخط الله على بعض عباده فيسلطهم عليهم بذنوبهم مبالغاً في التنكيل ، فهذا حبل الله على مفهوم بعض المفسرين ، والثاني هو استحواذهم على نصرة بعض الاقوام عن طريق الاحتيال والتمسكن ، كشأنهم اليوم مع صليبيي الغرب ، الذين يمدونهم بالمال والاسلحة لتثبيت اقدامهم في وطن الاسلام .. وذلك هو الحبل الثاني .. ولكن انتصاراتهم العارضة ليس لها استمرار الا ريثما تعود الامه المقهورة إلى طريق الله ، وحينئذ تتلاشى أحلام اليهود ، وتعاودهم طبيعة الذلة التي لا يستطيعون لها فراقاً ، لانهم لا يستطيعون التخلي عن المعصية والتحرر من روح العدوان !.

قوم بهت

سمعت على غير قصد متحدثاً من اذاعة اليهود فيما يسمونه (إسرائيل) يشن حملة حاقدة على بعض الكتاب المعاصرين من العرب، ويتهمهم باللاسامية وبالافتراء ، لأنهم يَعْرِضون اليهودي لشعوبهم في صورة هي عنوان الظلم والبغي والاحتيال والهبوط.. ثم لا يكتفي بذلك حتى يحاول خلق صورة مناقضة لذلك كله، صورة تفيض بالمحبة والخير والأدب والوفاء والتعاون على البر والتقوى ، ليفرغها على الجنس اليهودي دون تفريق بين ماضيه البعيد ، وحاضره القريب ! . ولتوكيد ذلك يذكر شعوب اولئك الكتاب المتحاملين – في زعمه – بما سلف من تعاون بين العرب والمسلمين وبين اليهود ، في حقول العلم والدعوة إلى الفضائل الروحية !...

اجل والله .. لقد سمعت ذلك المذيع اليهودي يحشد هذه المزاعم كلها ، ليغطي بها الوقائع الصارخة ، التي تؤكد ان اليهودي لم يكن قط صديقاً لأحد ، حتى ولا لنفسه ، ولو كان

لهذا المتقول أي صلة بالصدق ، ولو كان في وجهه بقية من الحياء لردعه عن هذه المدّعيات الباطلة تذكره فقط انه يذيعها من بلد هو في واقعه المنكوب . بجرائم اليهودية العالمية ، أكبر مكذب له ، ومبطل لتقولاته وارجافاته !..

ان مثل هذا والافاق الافاك ، في اكاذيبه هذه كمثل ذلك اللص الذي رأيته ذات يوم يجوب الأحياء بمصباحه باحثاً عن حمار سيده، ثم لا يستحيي حتى يسأل عنه الذين باعهم إياه!. بل انه لأشبه بقاتل قام يخطب في الناس منددا بالمجرم ، وقد نسي ان يديه لا تزالان مخضبتين بدم ضحيته !..

ولكن..لا بد من القول بأننا لا نلوم هذا المخلوق على محاولته تلك ، فان الأمر بيننا نحن العرب والمسلمين ، وبين اليهود اكبر من اللوم ، وأوسع من ان يتسع لجدل ، انه أمر وطن خططوا لاحتلاله منذ مئات السنين ، ووطنوا النية على سلبنا اياه ، مهما كلفت هذه الجريمة من نشر للارزاء ، وتشريد للابرياء ، وتفجير للدماء ..

ومع ذلك فان من حق العدالة على حملة الاقلام الاسلامية ان يجابهوا المجرم بدلائل جريمته ، لكي يُعَرّفوه انهم مع العدالة ، وانهم لا يظلمونه اذا هم لاحقوا مؤامراته ، وحذروا الناس من منكراته . لذلك نوجه إلى هذا الأفاق هذه الاسئلة المتحدية .

أولاً : لقد قال هؤلاء الاسلاميون انكم رميتم نبيّ الله هارون بالفاحشة والكفر ، اذ زعمتم انه هو الذي صنع العجل ، ودعا

قومه لعبادته . ثم جلس ينظر إلى عوراتهم وهم يطوفون به !.
ولا شك انها تهمة كاذبة لا تليق بسوقي فاجر فضـــلا عن نبي طاهر .. فمن مخترعهـــا أنحن أم كاتبوها في الإصحاح الثاني والثلاثين من كتابـكم المقدس الذي تسمونه (سفر الخروج)؟.

ثانياً : أن هؤلاء الاسلاميين يدعون انكم تتهمون نبي الله لوطاً بأقذر المنكرات ، اذ زعمتم انه زنى بابنتيه بعـــد ان اسكرتاه واضطجعتا معه بالتناوب، بحجة الحفاظ على استمرار النسل البشري .. أفهذه الكذبة من صنعنا أم من عمل أسلافكم الذين دسوها في الإصحاح التاسع عشر من كتابكم المقدس الذي تسمونه (سفر التكوين) ؟ .

ثالثاً : اننا نتهمكم بالكذب على الطاهرة البتول مريم بنة عمران وابنها روح الله وكلمته ، اذ ترمونها بالفجور وتجعلونه ثمرة الفاحشة .. أفنحن زعمنا هذا أم أنتم سطرتموه في كتبـكم الدينية ، وجعلتموه أصلاً تلقنونه أجيالـكم لتشحنوها حقداً على المسيحية والمسيحيين !..

رابعاً : اننا نصمكم بالانحلال الخلقي وبأفساد الحياة البشرية فهل تستطيعون التنصل من هذه الوصمة وقد فضحها النبيان الاسرائيليان ارمياء وحزقيال على رؤوس الأشهاد ؟!.

خامساً : لعلـكم تدفعون عن انفسكم هذه التهمة بادعائـكم انها فلتة عابرة في تاريخكم القديم ، فلا ينبغي ان تؤخذوا اليوم بمـا فعل سفهاؤكم بالأمس . فدعونا نسألـكم عن هذا الفجور الذي

يملأ الغرب ، ويتدفق منه على الشرق ، هل غيركم ابتدع ذلك كله ، ودعا اليه ، وأفرغ عليه مغريات الفن والفلسفة وانواع المروّجات الابليسية !!.

سادساً : واذا اصررتم على تكذيب هذه الوقائع كلها ،فهل تستطيعون انكار الجرائم الجديدة التي يقترفها فتيانكم وفتياتكم في مسجد الخليل،وفي قلب المسجد الذي جعله الله احد الاحرام الثلاثة على سطح هذه الكرة المرزؤة بفجائعكم !.

سابعاً : وهذا الالحاد الذي تفلسفونه للمخدعين ، وتجتذبون اليه قطعان المضللين .. من هم مروجوه ومفلسفوه سواكم ؟.. واذا ابيتم الا التبرؤ من هذه الكبيرة فحسبنا ان نذكركم بشاهد منكم هو المجنّدة في جيشكم (دائل) بنت وزير دفاعكم وقائدكم التي صرحت لمجلة (باري متش) الفرنسية في يونيو ١٩٦٨ يقولها : (انني لا أعرف الموت في سبيل إله ، ولكني ولكني اعرف كيف اموت في سبيل وطني) !..

•

ثامناً : وأخيراً لقد اعترفتم أكثر من مرة باننا نحن العرب والمسلمين الوحيدون في العالم الذين أحسنوا اليكم لوجه الله فاستقبلوا فلولكم الهاربين من بختنصّر ضيوفاً مكرمين في وادي القرى ويشرب وخيبر ، ثم أنقذوكم بعد ذلك من مضهديكم الرومان والأسبان والفرنسيين ، فلم تجدوا في جوارهم أية أذية او مساءة .. فبماذا كافأتمونا على كل هذه الصنائع ؟ .. ان كل ما أصبناه على ايديكم هو الغدر يوم الأحزاب ، ثم تهديم الخلافة

الاسلامية الذي مزق البلاد والعباد ، ثم اغتصاب مقدساتنا ، واحتلال بيوتنا وتشريد إخوتنا في السفوح والوهاد ! .. ومع ذلـــك لا تخجلون ان تدعونا إلى تناسي الماضي الذاهب ، والى العناق وتقبيل الشوارب ، كأن ذلك الركام الهائل من الجنايات لم يكن سوى محض أوهام ، وأضغاث احلام !..

أكبر الظن انكم ستعودون إلى تكذيب اتهاماتنا رغم الوثائق المخرسة .. وستتهموننا بالنازية والفاشستية ، بعد ان تسدلوا على هذه الوقائع الأستار ، وتخلقوا لإخفائها ولتسويغها آلاف الأعذار .. ولا عجب في ذلك ، فقد عرفناكم بأخبار القرآن ودرسنا طبائعكم عن طريق الاحداث ، وزودنا بهوياتكم حبركم الصادق عبد الله بن سلام ، حين قال لرسول الله ﷺ في حديثه المشهور (ان اليهود قومٌ بُهتٌ أهلُ غدر و كذب وفجور) ..

سموم من التلمود

العقدة النفسية من أسوأ علل الشخصية في الفرد والجماعة ، لأنها المصدر الأكبر لمعظم المشاكل المؤدية إلى اختلال التصور . ومن اختلال التصور اضطرب المنظور ، وفسد الحكم ، اذ لا لا يفرق صاحبه بين الخطأ والصواب ، والاستقامه والانحراف، وذلك هو سبيل الشقاء في الدنيا والآخرة .

والعقدة النفسية بالنسبة للفرد أمر غير مستغرب ، تتولد من شذوذ في التربية ، أو صدمة عارضة تترك أثرها عميقاً في سلوكه وتصوراته ، ولكنها مع ذلك غير مستحيلة الشفاء ، اذا اتيح لها النظامي الحاذق ، الذي يتتبع عواملها إلى النهاية ، فيرفع إصرها عن النفس ، فتعود سليمة سوية .. ولكن هذه العقدة عندما تستحوذ على جماعه ما تصبح غاية في الغرابة ، ويمسي شفاؤها غاية في الاستعصاء ، لأنها تستحيل إلى ضرب من العلل العضوية المتوارثة .. كالذي يشهده البشر في الشعوب التي اعتنقت اليهودية المنحرفة في قديم التاريخ وحديثه ..

والآن لنستقص صور هذه العقدة في وصف القرآن العظيم لهذا الجنس ..

ففي سورة البقرة، وهي معرض عجيب لخصائص النفس اليهودية، يقول تبارك وتعالى حاكياً مدّعياتهم : (وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة .. قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ! .. ام تقولون على الله ما لا تعلمون) ..

وفي آل عمران يثير تطلعاتنا إلى دراسة هذه النفس المعقدة، في مثل قوله سبحانه : (ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريقٌ منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا: لن تمسنا النار الا اياماً معدودات، وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون)

ويقول جل شأنه في السورة نفسها : (.. ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلّا ما دمت عليه قائماً !. ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل .. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ! .

فهاهنا استبطان عميق لمضمون هذه النفس ، يبرز تصوراتها المنحرفة ، ونتائج هذه التصورات على ذاتها ، ثم على من تلابسهم من البشر ، فالكثرة من اليهود مقتنعة بامتياز نوعها على أنواع الامم حتى في الآخرة ، اذ تزعم انها غير مسؤولة عن جرائمها

الدنيوية الا في حدود جد ضيقة ، لا تتجاوز اياماً معدودة في جهنم ! .. وبذلك يتهمون الله تعــالى بمحاباتهم على حساب ضحاياهم من المظلومين !. ولا سند لهم في هذا سوى الجرأة على الكذب والافتراء ومن هنا جــاء استخفافهم بحقوق البشر ، واقدامهم على استباحة اموال الناس بالربا والخيانة والدسائس ، حتى لنجد بينهم من لا يؤتمن على الدينار الواحد ، يقيناً منه بأن أموال الأرض حق لليهود وحدهم ، فلهم حق استردادها بكل الوسائل الممكنة ، كما يزعم كتابهم الشيطاني الذي يسمونه (التلمود) !..

وقد سبق ان أشرنا إلى خطر هذا التلمود على الأمن البشري بما زود اليهود من فنون الفساد ، فلنستمع الآن إلى بعض تعاليمه التي اليها ، وإلى ما دسوه في كتبهم المقدسة الأخرى ، يعود كل ما تعانية الانسانية من أوزار هؤلاء الاشرار .

يقول مؤلفوا التلمود :

الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة .. وقد خلق الله الأجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود .

نحن شعب الله في الأرض .. سخر لنا الحيوانات الانسانيه وهم كل الامم ، لنمتطي ظهورهم ، ونستخرج فنونهم لنفعتنا . مسموح غش الاجنبي وسرقة ماله عن طريق الربا الفاحش

لأن السرقة من غير اليهودي ليست سرقة ، بل استرداد لمال اليهودي .

ارواح غير اليهود أرواح شيطانية ، لذلـــك واجب على اليهودي قتل الصالح من غيرهم .. ومحرم عليه أن ينجي أجنبياً من هلاك أو يخرجه من حفرة ، ومن العدل ان يقتل بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يتقرب إلى الله) !..

***

ومن حق المستمع الكريم بعد هذا ان يشده لما يسمع ، وأن يتردد في تصديقه ، ولكن ما العمل اذا كان اليهود انفسهم لا يخجلون من عرضه في تضايف المطبوع من ذلك التلمود نفسه !. واذا كانت أسفارهم المقدسة نفسها، وهي اصل التلمود ومنطلقه الأول ، لا تــكاد تشتط عن هذا الخطّ ، حتى انها لا تذكر الله بوصفه رب الجنود ، وإله اسرائيل ، ولا نقرأ فيها البتة اسم (رب العالمين) !.

وطبيعي ان مرد الحوافز التي دفعتهم إلى تسطـــير هذه التوجيهات الأبليسية ، وتكوين أجيالهم على أساسها ، انمـــا يعود إلى العقد النفسية التي عزلت هذه الجماعة عن المجتمع البشري طوال التاريخ .. وهي عقد تحدرت اليهم من مواريث الهوان ، الذي عانوه في ظل الفراعنة ، ورافقهم الى كل مكان وزمان ،

فكان من ردود فعله ذلك الغرور الجنسي ، الذي ارادوا به تعويض النقص ، فشحن صدورهم بالحقد الطاغي على البشرية ، الذي ولد بدوره كل هاتيك المؤامرات الجهنمية !.

ولا جرم ان نفسية كهذه غير صالحة لأمانة الله ، التي هي مظهر رحمته الواسعة لعباده جميعاً .. ومن هنا جاء عزلهم عن منصب الامامة ، وتجريدهم من رعاية بيته المقدس في الأرض المباركة ..

رسالة وامانة

حاولنا آخر شيء رسم الخطوط الكبرى للشخصية اليهودية، كما يعرضها القرآن العظيم والحديث النبوي والمشهور من نصوص التاريخ . ولا بد لمتابع هـــذه الحلقات من أن يتساءل « اذا كانت النفس اليهودية هي مباءة كل هذه الانحرافات، فما الحكمة في اختيار الله اياها لسدانة بيت القدس في التاريخ القديم؟ ولماذا قضى لها اليوم بالعودة اليه ، بعد أن تقلص ظلهـا عنه عشرات القرون ؟

وللاجابة على تلك السؤالين لا بد من التذكير بحقيقتين اثنين: أولاهما الوضع الذي انتهى اليه الكنعانيون ، وهم السكان الأصليون لذلك البلد المختار ، فقد تجاوزوا الحد في الطغيان والبغي والاستهتار بحرمات الله ، فكان من حكمته تعـالى أن يسلط عليهم شعباً من أضعف خلقه، لا يزال حديث عهد بالتحرر من عبودية الفراعنة ، وليس له سابقة في الحكم والسلطـــان ، فكان ذلك درساً من حقه أن ينبه الغافلين ويردع الظالمين .

أما الحقيقة الثانية فتكرار لذلك الدرس نفسه . ولو نحن حدقنا جيداً في عبَر الكارثة النازلة اليوم بالمسلمين والعرب ،من احتلال اليهود لبيت القدس وما حوله من الأرض المباركة ، لأدركنا أن الأمر لا يعدو سنة الله في الانتقام لحرماته التي لم نحسن رعايتها،فكان جزاء ذلك أن سلط علينا من لا يدفع عن نفسه ، ولا يستطيع الوقوف الا متكئاً على سواعد الآخرين !

أجل والله لقد كانت مصيبتنا بالاحتلال اليهودي كمصيبة الفراعنة حين سلط عليهم الله القُمَّل والضفادع والدم ، فأذل بها كبرياءهم ، واشعرهم أن جبروتهم المتعالي لا يستطيع الثبات حتى أمام الحشرات !

إن الله جعل بيته المقدس أمانة ورسالة ، وقد عهد به الى بني اسرائيل ذات يوم ، وبقي لهم ما أخلصوا لأمانة الله ، فلما خانوا الأمانة أذلهم وعزلهم . ثم نقلها الى الأمة التي اصطفاها لخدمة أحرامه الثلاثة..وليس موضوع الاسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، إلا توكيداً لهذه الحقيقة التي بوأت أمته مركز القيادة العالمية .

يقول ابن كثير في تعريفه للمسجدلأقصى أثناء تفسيره لسورة الأسراء (وهو بيت المقدس معدن الأنبياء من لدن ابراهيم الخليل .. ولهذا جُمِعوا لهمد هناك كلهم ، فأمَّهم في محلتهم ودارهم ، فدل على انه هو الامام الاعظم ، والرئيس المقدم

صلوت الله وسلامه عليهم أجمعين) ولقد برهن المسلمون طوال أربعة عشر قرناً على انهم الامة الوحيدة المزوّدة بصلاحية الوفاء بهذه الأمـــانة .. لأنهم أصحاب الدين الوحيد الذي يحتضن الرسالات السماوية في وحـدة شاملة ، واخوة كاملة ، وبذلك صانوا مقدسات اليهودية والمسيحية في فلسطـــين ، لان دينهم يفرض الايمان بموسى وعيسى واخوانهما ، كما يفرض الايمان بمحمد ﷺ .. وليس لليهود ولا للنصارى مثل هذه الميزة ، لان المسيحيين لا يؤمنون بخاتم الانبياء ، فلا يؤتـَمنون بالتـالي على المسجد الاقصى ، وقد رأيناهم في العهد الصليبي يحتلون بيت المقدس ، فيحاولون ازالة معالم الاسلام عن مؤسساته ، ويرفعون صلبانهم على قباب الاقصى نفسه ، وقد فعلوا أكبر من ذلك في مؤسسات اليهود قبيل الأسلام ، يوم جاسوا خلالها فدمروها تدميراً .

أمـا اليهود فهم أبعد قسوة ، لانهم لا يؤمنون بعيسى ولا بأخيه محمد عليهما السلام ، بل يناصبونهما وأمتيهما أشدّ العداء ، وقد فضحت وثائقهم السرية نواياهم الجهنمية نحو المعابد الاسلامية والمسيحية على السواء ، فلا سبيل الى ائتمانهم عـــلى مقدسات الامتين .. ومن هنا يتضح بجلاء ان لا سلامة لهذه المقدسات ولا صيانة لتلك الحرمات ، الا في ظل الرعاية الاسلامية وحدها .

وهذا ما أكده المؤتمر المسيحي الذي عقـــد في فلسطين قبيل التقسيم ، اذ أعلن في رأس مقرراته : (ان المسيحيين على اختلاف طوائفهم لم ينعموا قط بالعدالة والرعاية الخالصة الا في ظل الحكم الاسلامي ، ولذلك فهم يرفضون كل حماية أجنبية وكل محاولة شيطانية لانتزاع فلسطين من حضانة المسلمين) .

أجل ان بقاء البيت المقدس والارض المباركة حوله في حماية المسلمين ورعايتهم ، انما هو واجب لا مندوحة عن الحفاظ عليه من أجل سلامة المقدسات الآلهية جميعها ، ومن أجل الوفاء بأمانة الله ورسالاته .. ولكن .. ما السبيل الى استرداده من أيدي الغاصبين أعداء الله والنبيين ؟

ان التجربة الرهيبة التي ما زالت تنيخ بأرزائها على صدور العرب والمسلمين لم ترد الكثيرين منهم الى الجادة حتى الساعة .. فهم يبحثون عن طوق النجاة في كل مكان الا مكانه الصحيح !

انهم يستجْدون السلاح ويفتشون عن الانصار ، ويرفعون الشكاوى .. وقد نسوا انهم لم يُغلبوا من قلة في العَدد ، ولا فقر في العُدد ، وانما أتوا من قِبل انحرافهم عن الطريق الامين، واعتمادهم على الاعداء من شرقيين وغربيين !

ولقد سبق للصليبيين ان انتزعوا فلسطين مـــن أجدادهم

الغافلين ، فلم يردّها اليهم الا اليقين الذي ردهم اليه صلاح الدين .

فيا أيها العرب والمسلمون .. انه بيت المقدس ، وانه لامانة ورسالة ، فأين عن هذه الحقيقة تذهبون !

وهل أنتم بعد هذا سامعون .. والى الله راجعون !

اخبار من اوروبة

ذكرتك يا قارئي بإخوانك المغتربين من طلبة العالم الاسلامي، المنتثرين تحت كل كوكب في ديار الصليبية والشيوعية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب.. وسأحدثك اليوم عن بعض جوانب النشاط الذي تنهض به العناصر الممتازة من هؤلاء الفتية .

كثيرون من أولئك المغتربين ، لا يملكون الخصائص الشخصية ألتي تستطيع الثبات أمام المغريات ، فلا يكادون يلامسونها حتى يقعوا في مخالبها ، ثم ما هي الا عشية أو ضحاها حتى يفقدوا كل مميز ذاتي ، فاذا هم ذائبون في حَمَمِها كأنهم بعض أشيائها ! فاذا أتيح لهم مع ذلك الاحتفاظ بالقدرة على الدرس، ثم قُيض لهم أن ينتهوا بدراستهم الى الشهادات المرجوة عادوا الى وطنهم الاسلامي مشحونين بالنقمة من مواريثه الأخلاقية ، فلا يقر لهم قرار حتى يشاركوا جهدهم في تهديم بقية هذه المواريث .. كالذي تناقلته الصحف قريباً عن ذلك

الدكتور « العظمي » الذي وقف يحاضر في جـــامعة بيروت الأميركية ، فكان همه الأكبر من محاضرته تلك ، أن يعلن براءته من عقيدة الاسلام في حرية التصرف الالهي ، الـــتي لا يتنكر لها الا مخبول ، يقال له فيقول !

ولكن قليلين من أولئك المغتربين ، والكرام دائماً قليل ، لم تزدهم نار الغربة الا توهجاً وتألقاً .. فهم يواجهون مغريات تلك الحضارة بالضبط النفسي، الذي يمكنهم من التأمل والبحث والتفكير ، فيميزون بين صالحها وفاسدها ، وصحيحها وزائفها واذا تعذر عليهم اصدار الاحكام الصحيحة في شأن بعضها، عمدوا الى الحل الأمثل ، فسألوا بها أهل الذكر ممن هم مظنة العـــلم بحقيقتها ، فاستناروا بأجوبتهم ، وانتفعوا بتوجيهاتهم، وهكذا تعيش هذه القلة الراشدة في قلب الحضارة الغربية، محصنة بعواصم العقل والدين ، فتقف على حذر من معروضاتها ، تأخذ ما ينفع، وتدع ما يضر ، ولا تكتفي بذلك حتى تعمد الى التنقيب عن مصانع السموم التي يعدها المتآمرون على الاسلام ، ووراء أعين السطحيين، لتوجه اليها أنظار الذين تتوسم فيهم الخير لدين الله، والغيرة على حقائقه . وبين يدي السّاعة رسالة من أحدهم ، تعطينا صورة من جهاد هؤلاء المؤمنين في ديار الغرب ، وترينا في الوقت نفسه قصور الكثيرين من المسؤولين عن سمعة الاسلام هناك، في واجبهم نحو هذا الدين ، الذي كان عليهم أن يكونوا رسله الصادقين في تلك الأقطار .

وها أنذا أعرض ملخصاً من هذه الرسالة دونما تعليق ، لانها في اشاراتها الوضيئة غنية عـــن كل تعليق ! يصف الفتى المؤمن أوضاع بعض المؤسسات الدبلوماسية المحسوبة على شعوبها العربية المسلمة ، فيقول : بعض هذه المؤسسات تقدم في حفلاتها الوطنية أصناف الخمور ، ولحوم الخنزير تكريماً لضيوفها مـــن المسلمين وغيرهم ! وتقوم بنشر المطبوعات الدعائية بلغة البلد الأجنبي لتعريف بلادها.ولكنها بدلاً من ذلك تسخرها لتمجيد الأفراد الحاكمين ، والاشادة بمواهبهم وعبقرياتهم ، ومعجزاتهم ومُنجزاتهم ! بل إن احدى هذه المؤسسات لتستخدم جانباً كبيراً من مطبوعاتها السمينة الملونة لإحيـــاء البائد من تاريخ أقطارها قبل الاسلام ! في حين أن كتب أعداء الاسلام توزع في كل مكان ، ناشرة سموم التشكيك في صلاحيته دون أن تكتب حرفاً في الرد عليها ! ذلك لأنها نسيت أن أولى مهامها في ديـــار الغرب هي الدعوة الى الاسلام ، وتعريف الجاهلين بحقائقه على الأقـــل ، كما تصنع الدبلوماسية الشيوعية في بث سمومها ، والديمقراطيات في تزيين أنظمتها على الأقل.. وعن الأندية الاسلامية والعربية يقول هذا الفتى :

في البلد الذي أدرس فيه عدة أندية ومعاهد.. كلها يحمل اسم الاسلامي والعربي .. ولكن مما يؤسف أن معظمها لا يهتم بأمر الاسلام في قليل أو كثير.. وأضرب لك مثلا من أحدها وليكن (معهد الدراسات الاسلامية) فهو بنـــاء من أربعة

ادوار ، نُصِب في مدخله العديد من الأصنام لمتألهين قدمـــاء ومحدثين ، وفي صدر أحد أبهائه أقيم صنم لآخرهم ، وهو البَهو الوحيد الذي تقام فيه صلاة العيد فقط !

ثم ان بعض الطلاب رفعوا التماسا الى أحـــد هذه الأندية للسباح لهم بإقامة صلاة الجمعة فتم ما طلبوا ، واستمرت الصلاة حتى شهر رمضان .. ولكن سرعان ما أطلت رؤوس الفتنة ، وحيكت الاتهامات ، فتوقفت الصلاة خشية العواقب !

وهنا أقف بالقارىء الكريم على أمل التلاقي معه في طائفة أخرى من هذه الأخبار عن شطرنا الحبيب المغترب ..

مؤامرات ومفتريات

في الصفحات السابقه لخصت للقارىء بعض النقاط الـــتي حملتها إليّ رسالة ذلك الفتى المؤمن من أحد الأقطار الأوروبية حيث يعيش العديد من أبنائنا طلباً للدراسات الجامعية .. وقد بقيت من هذه الرسالة بقية ما أراها أقل أهمية من الذي أسلفته، وها أنذا أوجزها فيما يلي ..

يقول الفتى المؤمن ..

في البلد الذي أتلقى به دراستي الجامعية ـ وهو أجـــدر الربوع الاوروبية بتكريم الاسلام – تـُربَى الاجيال الكاثوليكية على كره هذا الدين ، وتُحشى أذهانها بالاراجيف المشوهة لجماله، بشكل لا يتصوره المسلم العادي، الذي لا يعرف تاريخ التعصب الكـنَـسي على الاسلام ونبيه وأهله !

واليك بعض الامثلة من هذه المفتريات البعيدة التأثير ..

ان وزارة التربية والتعليم في هذا البلد لا تتورع أن تقدم لطلبة العلم في بلادها أنواعاً من هذه السموم ، بوصفها حقائق تاريخية وبشرية .. ففي تلك الكتب يُدَرس الطلاب .. أن المُحَمَّدانيين – وهو اللقب الذي يعرفون به المسلمين – يعتبرون المرأة بلا روح ، وانها لا تدخل الجنة ، وانها خلقت للغرض الجنسي فقط !

وطبيعي أن التلامذة ، وبخاصة الاحداث منهم ، يتلقون هذه الاباطيل بالتسليم المطلق ، دون أن يتاح لهم من يفهمهم أنها وضع أعداء الحق ، وانها انما تحدد وظيفة المرأة في نظرة الكنيسة القديمة ، لا في نظر الاسلام .. الذي يقول دستوره في النوعين : (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. ٩ – ٧١)

هـذا الى الكثير من المناكير التي يخترعونها على رسول الله ﷺ ، مصحوبة بالصور ، التي يراد بها تثبيت ذلك الاختلاق! وليست كتب الدولة هذه سوى انموذج مصغر لمحتويات الكتب العادية المعروضة في المكتبات العامة .

فهناك ترجمات لمعاني القرآن لا تخلو من مثل هذه الاراجيف ومن أمثلتها قول المؤلف في مقدمة احدى هذه الترجمات : (ان

القرآن نمط من أقاصيص ألف وليلة !) وفي مقدمة أخرى يقول مترجم آخر : (ان محمداً بذكائه استطاع أن يأخذ من اليهودية والنصرانية ، ويضيف اليها أشياء جديدة ! وساعده في دعوته الشعب القبلي الساذج الذي تقبلها بالحال ، اعتماداً على براهين صاحبها الذى يدعي أنه أمي !)

ثم يقول الفتى المؤمن

وعلى الرغم من الفراغ الذي تشكوه الدعوة الاسلامية ، لفقدان الدعاة ، أو لخمود النشاط الذي تقتضيه ، لا يخلو الوسط من بعض الغربيين الذين عرفوا شيئاً عن حقيقة الاسلام، فانشرحت صدورهم له فاعتنقوه ..

ولكن هؤلاء لا يجرؤون على التظاهر بإسلامهم .. بل تراهم يتسلّلون سراً الى بعض المراكز الاسلامية ، خشية المضايقات التي تتابعهم في البيت والجامعة والشارع !

وينتقل الى الحديث عن زملائه من العرب .. فيرسلها زفرات لاذعة ، اذ يقول : (أما العرب فانهم يلاحقون بالاستهزاء والاتهامات المختلفة كل من يصلي منهم أو يصوم ! .. وطبيعي أن هؤلاء المستهزئين المختلقين لتلك التهم هم من أبناء المسلمين لا الاجانب !

وكثيراً ما نسمعهم يشاركون أساتيذهم الغربيين في عيب الاسلام والتهجم على مقدساته !

بل انهم لا يكتمون ألمهم من الانتساب اليه !

ثم يختم الفتى رسالته تلك بهذه الكلمة الموجعة (وان الحالة والله ليرثى لها ، ولو علم الآباء حال أبنائهم لما سمحوا لأحد منهم أن يأتي الى أوروبة ، الا من كان موضع الثقة في دينه وعقله وخلقه)

بعد هذا العرض الموجز لرسالة ذلك الفتى لا نستطيع الا أن نسترعي انتباه السامعين الى الملاحظتين التاليتين :

أولاً : إن هذه المفتريات التي يحوكها أعداء الاسلام في الغرب ، انما هي بعض آثار التعصب الصليبي القديم ، الذي ساق أوروبة بأجمعها من قبلُ الى حرب المسلمين ، بغية القضاء على دينهم ، وتدمير أوطانهم . وهي بالنسبة الى ورثة هذا التعصب وسيلتهم المثلى الى استبقائه وتغذيته بالوقيد الدائم... وليس التفاف الصليبية الغربية حول اسرائيل ، وتأييد عدوانها الا بعض ثمرات هذا التوحيه الجهنمي الذي يتوارثه االلاحقون عن السابقين .

ثانياً : إن أولئك الشباب الذي يشير اليهم الفتى من أبنائنا

الزائغين ، الذين تبتلعهم مزالق الغرب ، هم الذين سيتولون في الغد القريب قيادة المعركة التي تخططها الصليبية والماسونية ، للقضاء على بقية معاقل الاسلام في بلاد الاسلام ..

فمتى يفطن لهذه الكارثة المسلمون؟ وهل من أمل بتداركها قبل فوات الأوان أيها الغافلون !

دروس من المعركة

وهذه رسالة أخرى بعث بها طالب آخر من شبابنا المؤمن يتلقى تعليمه الجامعي في الولايات المتحدة ، وقـــد وجهها الى شقيقة له من المدرسات في المملكة العربية السعودية ..

في هده الرسالة يتحدث الطالب بمرارة محرقة عن الملابسات التي رافقت حرب حزيران .. فيرينا أن المعركة لم تقتصر على ميادين سيناء والاردن والجولان فقط، بل شملت حتى شوارعَ نيويورك وواشنطن والبيت الابيض ، ومـــكاتب الصحف، والاذاعات ومرائي التلفزيون .. وما وراء ذلك من عشرات الوسائل الاعلامية في العالم الجديد ، وعلى الرغم من أن شيئاً من ذلك ليس جديداً على ذوي العلم بالتحالف القائم بين اليهودية والصليبية على الاسلام ، فان الجديد فيه أن ذلك الميدان كان خالياً من كل أثر للقوة المقابـــلة ، بمعنى أن لليهودية وحليفتها

الصليبية كانتا تقولان ما تشاءان ، وتحشدان ما تملكان من طاقات الدعاية لاسرائيل ، دون أن يرتفع صوت بكشف أضاليلها ، وفضح مؤامراتها .. اللهم الا محاولات صغيرة نهضت بها عناصر محدودة الأثر من طلاب العالم الاسلامي لا تدفع محنة ولا تنقع غلة !

وسأدع الآن لذلك الطالب المؤمن أن يحدثنا عن مشاهداته في أميركا أثنـــاء تلك الحرب ، وما سبقها من ظروف مفتعَلة مستهدِفة اعداد الرأي العام لقبول وقائع الجريمة ، في زفّة من الهتاف والتصفيق لبطولة المجرمين !
يقول الطالب المغترب لشقيقته المدرسة :

بدأت مشكلة حزيران كما يلي : تهديد بغزو سورية ،تحريض روسي لحـــكام سورية للتخلص من مشاكلهم الداخلية .. وفي السادس عشر من أيار أعلنت الأهرام استنفار القوات المصرية ، وعرضت صورها ! وتعلق المجلة البريطانية (المانشستر غارديان) على ذلك بقولها : ان الحشد المصري أقـــل من الذي تدعيه الأهرام ، فهو لا يعدو كونه مجرد عرض للقوى !

وأكدت ذلك (النيويورك تايمز) اذ كتبت في السابع عشر من أيار أن التحركات تبدو كمظاهرة سياسية فقط !

ونشرت الجرائد العالمية احصائيات عن جيوش المنطقة ، تؤكد أن مجموع الجيوش العربية المواجهة لاسرائيل لا تتجاوز

مئة وخمسة وعشرين ألف جندي ، يقابلهم جيش يهودي يزيد على ثلاثمائة ألف مقاتل في أعلى مستوى من التدريب والعَتاد .

ويجيء اثر هذا التحذير الروسي الامريكي المشترك ، الذي الزم المتحدةَ عدم البدء بإطلاق النــــار ، وأكّـد ذلك عودة شمس بدران من موسكو في ٢٨ أيار دون أي وعـــد بالدعم ، وكان لهذا الخذلان أثره في المخابرات الأميركية وفي اسرائيل اذ أعلـــن ايبان في الثلاثين من أيار أن اسرائيل قررت كسر الغَـلَـق عن خليج العقبة وحدها .. وانما تنتظر بعض الوقت لترى نتيجة المساعي العالمية ، ولكن ذلك لن يستمر سنوات أو أشهراً ، لانها أصبحت كالنابض المضغوط !

واذا هي لم تبدأ الضرب عقب تحركات المصريين فـــلأن التوقيت عبارة عن جزء من الاستراتيجية العسكرية في معالجة الازمة .

ويقول الفتى المؤمن

الى جانب هذا التظاهر العسكري ، كانت الدعاية المركزة تعمل عملها في تهيئة الجو لمرور العاصفة .. من ذلك أن التلفزيون الامريكي كان لا ينفك عـــن مطالعة النـّظارة بالحياة في تل ابيب ، اذ يعرضها غارقة في السكون ، كشأنها في السكون الذي سبق الهجوم على السويس أيام العدوان الثلاثي .. أي أنها تعمل ولكن دون صراخ في الإذاعات ! وسرعان ما جـــاء

الخامس من حزيران بالنتائج الصاعقة ، اذ حُطّمت مئـــات الطائرات العربية على الأرض ، فتجردت جيوشنا عن الحماية الجوية ، وبات مجال العمل مفتوحاً على مداه أمـــام الخطط الإسرائيلية ، التي انتهجت طريقة الالمان بالحرب المستمرة ليلَ نهارَ ، وبالمشاة المحمولين على الآليات .. وقد حدث ذلك دون أن يحقق الرادار العربي أية مهمة ، لانه كان أدنى من مستوى المعركة .. هذا بالاضافة الى أثر السفينة (ليبرتي) التي كانت وظيفتها نقل التوجيهات الى اسرائيل ، وشلّ عمـــل بقية الرادارات العربية [1] .

وينتهي الفتى من ذلك الى القول : (ولقد كنا نخادع أنفسنا ، اذ كنا نعوّل على تعبئة الضمير الغربي ، ناسين أو متناسين أن هذا الضمير لن يكون بجانبنا أبداً . وهنا أذكر كلمة السناتور الامريكي (موربي) الذي أعلن عقب الجريمة بكل اعتزاز (ان ما فعله الاسرائيليون أعطى العالم درساً خالداً ، وهو انهم لم يقفو بانتظار الرأي العالمي ، بل فعلوا ما كان يجب أن يفعلوه ، وبذلك وضعوا العالم أمام الامر الواقع .

وهنا يقف الفتى ليسترد بعض أنفاسه ثم يقول(لقد حدثت هذه المقدمات على مشهد ومسمع من العالم كله،ولكننا الوحيدون الذين لم ننتفع بشيء منها ، فكأننا كنا نغط في عالم آخر بعيدين عن كل ما يقال وما يحدث !

ثم يختم هذا القسم من رسالته بهذا التساؤل المثير :(ألم نكن نحن العرب أحق من اسرائيل بذلك الاقدام الخاطف ؟فما الذي صرفنا عنه ؟ ولماذا لم نفعل ما كان واجباً أن نفعله ؟)

ولكنه تساؤل سيظل بغير جواب ..

---

(١) تكررت المأساة في باكستان حيث كانت طائرات الاستكشاف الروسية – المزودة بالوقود مــن بعض الاقطار العربية – تحلق مستطلعة مواقع الطوائر الباكستانية ومواطن الدفاع ، ثم تقدم ذلك لطياري أنديرا ليضربوها بدقة محكمة .

الفهرس

صفحة